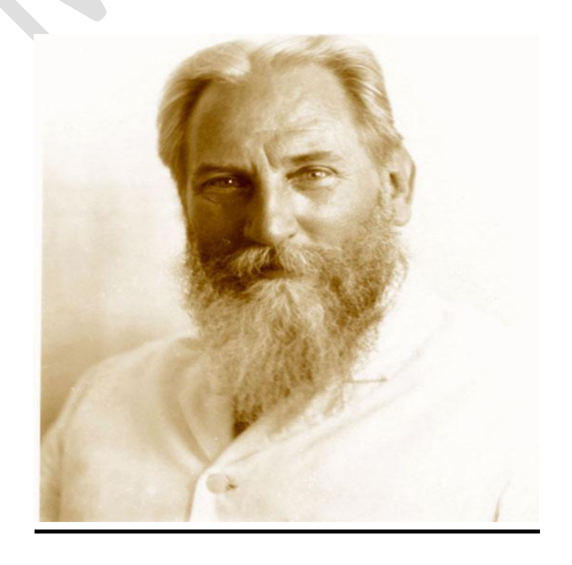
كتاب مفصل حول الثيوصوفية

لمؤلفه: سي.دبليو ليدبيتر

اعداد وترتيب: The Master Library





شعار المكتبة التي قامت بترتيب الكتاب وتحويله للعربية

تاريخ نشر الكتاب بالعربية: 2025/ تاريخ نشر الكتاب الأصلي: 1912

للتواصل مع القائم على المكتبة: zaidadwan@gmail.com (زيد العدوان)

الفهرس:

الفصل الأول: ماهية الثيوصوفيا

"لا تزال هناك مدرسة فلسفية قائمة، غابت عنها الثقافة الحديثة." بهذه الكلمات، بدأ السيد أ. ب. سينيت كتابه "العالم الخفي"، أول عرض شعبي للثيوصوفيا، والذي نُشر قبل ثلاثين عامًا [عام ١٨٨١]. خلال السنوات التي مضت منذ ذلك الحين، تعلم آلافٌ من الناس الحكمة في تلك المدرسة، إلا أن تعاليمها لا تزال مجهولة لدى الأغلبية، ولا تُقدم سوى إجاباتٍ مبهمة على سؤال "ما هي الثيوصوفيا؟". يوجد كتابان يُجيبان على هذا السؤال: كتاب "البوذية الباطنية" للسيد سينيت، وكتاب "الحكمة القديمة" للدكتورة بيسانت. لا أفكر في منافسة هذين الكتابين؛ ما أرغب فيه هو تقديم بيان، واضح وبسيط قدر الإمكان، يُمكن اعتباره تمهيدًا لهما.

كثيراً ما نتحدث عن الثيوصوفية على أنها ليست ديناً بحد ذاتها، بل هي الحقيقة الكامنة وراء جميع الأديان على حد سواء. هذا صحيح؛ ومع ذلك، من وجهة نظر أخرى، يمكننا القول بالتأكيد إنها فلسفة ودين وعلم في آن واحد. إنها فلسفة لأنها تضع أمامنا شرحاً واضحاً لمخطط تطور الأرواح والأجساد في نظامنا الشمسي. إنها دين لأنها، بعد أن أوضحت لنا مسار التطور العادي، تضع أمامنا أيضاً وتنصحنا بطريقة لاختصار هذا المسار، حتى نتمكن من خلال الجهد الواعي من التقدم بشكل مباشر نحو الهدف. إنها علم لأنها تتعامل مع كلا الموضوعين ليس كمسائل تتعلق بالمعتقدات اللاهوتية، بل كمعارف مباشرة يمكن الحصول عليها بالدراسة والبحث. يؤكد هذا المبدأ أن الإنسان لا يحتاج إلى الثقة العمياء، لأنه يمتلك قوى كامنة، تُمكّنه، عند إيقاظها، من الرؤية والفحص بنفسه، ويمضي في إثبات حجته بإظهار كيفية إيقاظ هذه القوى. وهو بحد ذاته نتيجة إيقاظ هذه القوى من قِبل البشر، لأن التعاليم التي يطرحها علينا مبنية على ملاحظات مباشرة جرت في الماضي، ولا تُصبح ممكنة إلا من خلال هذا التطور.

كفلسفة، يشرح لنا هذا المبدأ أن النظام الشمسي آلية منظمة بعناية، مظهر من مظاهر حياة عظيمة، والإنسان جزء صغير منها. ومع ذلك، فإنه يتناول ذلك الجزء الصغير الذي يهمنا مباشرةً، ويتناوله بشكل شامل تحت ثلاثة عناوين: الحاضر والماضي والمستقبل.

يتناول هذا المبدأ الحاضر من خلال وصف ماهية الإنسان الحقيقية، كما تُرى من خلال قدراته المتطورة. ومن المعتاد الحديث عن الإنسان كشخص ذي روح. الثيوصوفية، نتيجةً للبحث المباشر، تُقلب هذا القول المأثور، وتُقرر أن الإنسان روح، وله جسد - بل عدة أجساد، هي مركباته وأدواته في عوالم مختلفة. هذه العوالم ليست منفصلة في المكان؛ بل هي حاضرة معنا في آنٍ واحد، هنا والآن، ويمكن دراستها؛ إنها أقسام الجانب المادي للطبيعة - درجات متفاوتة من الكثافة في تجمع المادة، كما سيُشرح بالتفصيل لاحقًا. للإنسان وجود في عدة منها، ولكنه عادةً لا يُدرك إلا أدنها، مع أنه أحيانًا يُلمح في الأحلام والغيبيات بعضًا منها. ما يُسمى موتًا هو التخلي عن المركبة التي تنتمي إلى هذا العالم الأدنى، لكن الروح أو الإنسان الحقيقي في

عالم أعلى لا يتغير أو يتأثر بهذا أكثر مما يتغير الإنسان المادي أو يتأثر عندما يخلع معطفه. كل هذا ليس مسألة تخمين، بل مسألة ملاحظة وتجربة. لدى الثيوصوفية الكثير لتخبرنا به عن تاريخ الإنسان الماضي - كيف وصل في سياق التطور إلى ما هو عليه الآن. وهذا أيضًا أمرٌ يخضع للملاحظة، نظرًا لوجود سجلٍ لا يُمحى لكل ما حدث - نوعٌ من ذاكرة الطبيعة - من خلال فحص مشاهد التطور السابقة التي يمكن أن تمر أمام أعين الباحث كما لو كانت تحدث في هذه اللحظة. ومن خلال دراسة الماضي بهذه الطريقة، نتعلم أن الإنسان إلهي في الأصل وأن لديه تطورًا طويلًا خلفه - تطور مزدوج، تطور الحياة أو الروح في الداخل، وتطور الشكل الخارجي. ونتعلم أيضًا أن حياة الإنسان كروحٍ طويلة، على ما يبدو لنا، وأن ما اعتدنا على تسميته حياته هو في الواقع يوم واحد فقط من وجوده الحقيقي. لقد عاش بالفعل العديد من هذه الأيام، ولا يزال أمامه المزيد منها؛ وإذا أردنا فهم الحياة الحقيقية وغايتها، فعلينا أن ننظر إليها ليس فقط من منظور هذا اليوم الواحد منها، الذي يبدأ بالولادة وينتهي بالموت، بل أيضًا من منظور الأيام التي مضت وتلك التي لم تأتِ بعد.

2

وهناك الكثير مما يُقال عن الأيام التي لم تأتِ بعد، وفي هذا الموضوع أيضًا، تتوفر معلوماتٌ كثيرةٌ ومحددة. يمكن الحصول على هذه المعلومات، أولًا، من رجالٍ قطعوا شوطًا أبعد بكثير على طريق التطور منّا، وبالتالي لديهم خبرةٌ مباشرةٌ به؛ وثانيًا، من خلال الاستدلالات المستمدة من الاتجاه الواضح للتطور.

خطواتٌ نرى أنها اتُّخذت سابقًا. إن هدف هذه الدورة تحديدًا ماثلٌ في الأفق، وإن كان لا يزال بعيدًا عنا، ولكن يبدو أنه حتى بعد بلوغه، لا يزال أمام كل من يرغب في الاضطلاع به تقدمٌ لا نهائي.

من أبرز مزايا الثيوصوفية أن النور الذي تُلقيه علينا يحلُّ فورًا العديد من مشاكلنا، ويزيل الكثير من الصعوبات، ويُفسِّر مظالم الحياة الظاهرة، ويُعيد النظام إلى الفوضى الظاهرية. وهكذا، فبينما يستند بعض تعاليمها إلى ملاحظة قوى يعجز الإنسان العادي عن إدراك تأثيرها المباشر، فإن هذا الأخير إذا قبلها كفرضية، فسيدرك سريعًا أنها صحيحة، لأنها وحدها تُقدِّم تفسيرًا متماسكًا ومعقولًا لدراما الحياة التي تُعرض أمامه. إن وجود البشر الكاملين، وإمكانية التواصل معهم والتعلم منهم، من أبرز الحقائق الجديدة العظيمة التي تقدمها الثيوصوفية للعالم الغربي. ومن هذه الحقائق المذهلة أن العالم لا ينجرف أعمى نحو الفوضى، بل إن تقدمه يخضع لسيطرة هرمية منظمة تمامًا، بحيث يكون الفشل النهائي، حتى لأصغر وحداتها، هو المستحيل الأشد استحالة. إن لمحة عن عمل هذه الهرمية تولد حتمًا الرغبة في التعاون معها،

والعمل تحت إمرتها، مهما كانت متواضعة، وأن نكون جديرين، في وقت ما في المستقبل البعيد، بالانضمام إلى صفوفها الخارجية.

هذا يقودنا إلى ذلك الجانب من الثيوصوفية الذي أسميناه دينيًا. أولئك الذين يعرفون ويفهمون هذه الأمور غير راضين عن عصور التطور البطيئة؛ إنهم يتوقون إلى أن يصبحوا أكثر فائدةً على الفور، ولذلك يطلبون ويكتسبون معرفة الطريق الأقصر والأكثر انحدارًا. لا مفر من حجم العمل الذي يجب القيام به. الأمر أشبه بحمل حمولة إلى أعلى جبل؛ سواءً حملها المرء مباشرةً على طريق شديد الانحدار أو تدريجيًا على طريق ذي منحدر لطيف، يجب بذل نفس العدد من الأقدام-الرطل. لذلك، فإن القيام بنفس العمل في جزء صغير من الوقت يعني جهدًا دؤوبًا. ومع ذلك، يمكن القيام به، لأنه قد تم؛ ويتفق أولئك الذين قاموا به على أنه أكثر بكثير من مجرد تعويض عن العناء. وبذلك يتم تجاوز حدود الوسائل المختلفة تدريجيًا، ويصبح الإنسان المتحرر شريكًا ذكيًا في الخطة الجبارة لتطور جميع الكائنات. وبصفتها دينًا، تُعطي الثيوصوفية لأتباعها قاعدة حياة، لا تستند إلى أوامر مزعومة صدرت في حقبة ماضية بعيدة، بل إلى المنطق السليم كما تدل عليه الوقائع المُشاهدة. إن موقف طالب الثيوصوفية من القواعد التي تُمليها يُشبه موقفنا من القواعد الصحية أكثر من طاعتنا للوصايا الدينية. يُمكننا القول، إن شئنا، إن هذا الشيء أو ذاك مُطابق للإرادة الإلهية، لأن الإرادة الإلهية تُعبَّر عنها فيما نُسميه قوانين الطبيعة. ولأن هذه الإرادة تُدبِّر كل شيء بحكمة، فإن انتهاك قوانينها يعني الإخلال بانسيابية النظام، وكبح ذلك الجزء الضئيل من التطور للحظة، وبالتالي جلب الإزعاج لأنفسنا وللآخرين. ولهذا السبب يتجنب الحكيم انتهاكها - لا للهروب من غضب إله مُتخيَّل. ولكن إذا اعتبرنا الثيوصوفيا دينًا من وجهة نظر معينة، فعلينا أن نلاحظ فرقين كبيرين بينها وبين ما يُسمى دينًا في الغرب. أولًا، لا تطالب أتباعها بالإيمان، ولا حتى تتحدث عن الإيمان بالمعنى الذي تُستخدم به هذه الكلمة عادةً. فطالب علم الباطن إما أن يعرف شيئًا أو يُؤجل حكمه عليه؛ فلا مجال للإيمان الأعمى في مخططه. وبطبيعة الحال، لا يستطيع المبتدئون في الدراسة بعدُ أن يعرفوا بأنفسهم، لذا يُطلب منهم قراءة نتائج الملاحظات المختلفة والتعامل معها كفروض محتملة - قبولها والعمل بها مؤقتًا، إلى أن يتمكنوا من إثباتها بأنفسهم. ثانيًا، لا تسعى الثيوصوفيا أبدًا إلى تحويل أي إنسان عن دينه، بل على العكس، فهي تشرح له دينه، وتُمكّنه من أن يرى فيه معاني أعمق مما عرفه من قبل. إنها تُعلّمه فهمها وعيشها على نحو أفضل مما كان عليه، وفي كثير من الأحيان تُعيد إليه، على مستوى أعلى وأكثر ذكاءً، الإيمان بها الذي كاد أن يفقده سابقًا.

للثيوصوفيا جوانبها كعلم أيضًا؛ إنها في الحقيقة علم حياة، علم روح. إنها تُطبّق على كل شيء المنهج العلمي للملاحظة الدقيقة والمتكررة، ثم تُجدول النتائج وتُستنتج منها. بهذه الطريقة، تكون قد بحثت في مختلف مستويات الطبيعة، وظروفها.

لوعي الإنسان في الحياة وبعد ما يُسمى عادةً بالموت. ولا يسعنا إلا أن نؤكد أن تصريحاتها في جميع هذه المسائل ليست مجرد تخمينات غامضة أو مبادئ إيمانية، بل هي مبنية على ملاحظة مباشرة ومتكررة لما يحدث. وقد تناول باحثونها، إلى حد ما، مواضيع تقع ضمن نطاق العلوم العادية، كما يتضح لمن يقرأ كتاب الكيمياء الخفية.

وهكذا نرى أن الثيوصوفية تجمع في داخلها بعض خصائص الفلسفة والدين والعلم. وقد يُسأل: ما هو إنجيلها لهذا العالم المُنهك؟ ما هي النقاط الرئيسية التي تنبثق من أبحاثها؟ ما هي الحقائق العظيمة التي عليها أن تضعها أمام البشرية؟

لقد لُخصت هذه الحقائق بشكل جيد تحت ثلاثة عناوين رئيسية. هناك ثلاث حقائق مطلقة، لا تُنسى، ولكنها قد تبقى صامتة لقلة الكلام.

روح الإنسان خالدة، ومستقبلها هو مستقبل شيء لا حدود لنموه وروعته.

المبدأ الذي يمنح الحياة يسكن فينا وبدوننا، خالد وخير أبدي، لا يُسمع ولا يُرى ولا يُشم، بل يُدركه الإنسان الذي يرغب في الإدراك.

كل إنسان هو مُشرّع نفسه المُطلق، مُوزع المجد أو الكآبة على نفسه، مُقرر حياته، ثوابه وعقابه.

هذه الحقائق، التي هي عظيمة كعظمة الحياة نفسها، بسيطة كبساطة أبسط عقل إنسان.

باختصار، وبأسلوب رجل الشارع، هذا يعني أن الله خير، وأن الإنسان خالد، وأننا كما نزرع، كذلك يجب أن نحصد.

هناك مخطط مُحدد للأشياء؛ إنها تحت توجيه ذكي وتعمل بموجب قوانين ثابتة. للإنسان مكانه في هذا النظام، وهو يعيش في ظل هذه القوانين. إذا فهمها وتعاون معها، فسيتقدم بسرعة ويسعد؛ وإذا لم يفهمها - إذا خالفها، عن قصد أو عن غير قصد - فسيؤخر تقدمه ويشقى. هذه ليست نظريات، بل حقائق مثبتة. فليقرأ من يشك، وسيرى.

6

الفصل الثاني: من المطلق إلى الإنسان

عن المطلق، اللانهائي، الشامل، لا يمكننا في مرحلتنا الحالية أن نعرف شيئًا، سوى أنه موجود؛ لا يمكننا أن نقول شيئًا إلا أنه محدود، وبالتالي غير دقيق.

فيه أكوان لا تُحصى؛ وفي كل كون أنظمة شمسية لا تُحصى. كل نظام شمسي هو تعبير عن كائنٍ جبار، نسميه اللوغوس، كلمة الله، الإله الشمسي. هو كل ما يعنيه البشر بالله. إنه يتخلله؛ لا يوجد فيه شيءٌ غيره؛ إنه تجليه في مادةٍ نراها. ومع ذلك، فهو موجودٌ فوقه وخارجه، يعيش حياةً رائعةً خاصةً به بين أقرانه. وكما ورد في أحد الكتب المقدسة الشرقية: "بعد أن تغلغلتُ في هذا الكون كله بجزءٍ واحدٍ من ذاتي، بقيتُ."

لا يمكننا أن نعرف شيئًا عن تلك الحياة العليا له. لكن عن الجزء من حياته الذي يُنشّط نظامه، قد نعرف شيئًا في المستويات الدنيا من تجلياته. قد لا نراه، لكننا قد نرى قدرته تعمل. لا يمكن لأي شخصٍ ذي بصيرةٍ أن يكون ملحدًا؛ فالدليلُ هائلٌ جدًا.

بذاته، خلق هذا النظام العظيم. نحن الذين فيه شظايا متطورة من حياته، شرارات من ناره الإلهية؛ منه أتينا جميعًا، وإليه سنعود جميعًا. تساءل الكثيرون عن سبب فعله هذا؛ لماذا انبثق منه كل هذا النظام؛ لماذا أرسلنا لمواجهة عواصف الحياة؟ لا نعلم، والسؤال ليس عمليًا؛ يكفي أننا هنا، وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا. ومع ذلك، فقد تكهن العديد من الفلاسفة بهذه النقطة، وقُدّمت اقتراحات عديدة. أجمل ما أعرفه هو قول فيلسوف غنوصي: "الله محبة، لكن المحبة نفسها لا يمكن أن تكون كاملة إلا إذا كان لها من يُغدق عليها ومن يردها. لذلك، برز من ذاته في المادة، وحدد مجده، لكي نوجد من خلال هذه العملية الطبيعية والبطيئة للتطور؛ ونحن بدورنا، وفقًا لإرادته، سنتطور حتى نصل إلى مستواه، وعندها ستصبح محبة الله نفسها أكثر كمالًا، لأنها ستُغدق على أبنائه، الذين سيفهمونها ويردونها، وهكذا يتحقق مخططه العظيم وتتم مشيئته".

لا نعرف على أي ارتفاع هائل يستقر وعيه، ولا يمكننا أن نعرف طبيعته الحقيقية كما تظهر فيه. ولكن عندما يُنزل نفسه إلى مثل هذه الظروف التي في متناولنا، يكون تجليه دائمًا ثلاثيًا، ولذلك صورته جميع الأديان على أنه ثالوث. ثلاثة، ومع ذلك واحد في جوهره؛ ثلاثة أشخاص (لأن الشخص يعني قناعًا) ومع ذلك إله واحد، يُظهر نفسه في تلك الجوانب الثلاثة. ثلاثة بالنسبة لنا، ننظر إليهم من الأسفل، لأن وظائفهم مختلفة؛ وواحد بالنسبة له، لأنه يعلم أنهم مجرد جوانب لنفسه.

تتعلق هذه الجوانب الثلاثة بتطور النظام الشمسي؛ كما تتعلق بالتطور هذا التطور هو إرادته، ومنهجه هو خطته.

يلي هذا الإله الشمسي، والذي يُعتبر أيضًا جزءًا منه بطريقة غامضة، وزراءه السبعة الذين يُطلق عليهم أحيانًا اسم الأرواح الكوكبية.

باستخدام تشبيه مستمد من فسيولوجيا أجسادنا، فإن علاقتهم به تشبه علاقة العقد العصبية أو المراكز العصبية بالدماغ. كل تطور ينبثق منه يأتي من خلال واحد أو آخر منهم.

تحت هؤلاء بدورهم تأتي حشود هائلة أو رتب من الكائنات الروحية، الذين نسميهم ملائكة أو ديفاس. لا نعرف بعد جميع الوظائف التي يؤدونها في مختلف أجزاء هذا المخطط الرائع، لكننا نجد أن بعضهم مرتبط ارتباطًا وثيقًا ببناء النظام وظهور الحياة فيه.

هنا في عالمنا، يوجد مسؤول عظيم يمثل الإله الشمسي، وهو المتحكم المطلق في كل التطور الذي يحدث على هذا الكوكب. يمكننا أن نتخيله ملكًا حقيقيًا لهذا العالم، وتحت إمرته وزراء مسؤولون عن إدارات مختلفة. أحد هذه الإدارات معني بتطور الأجناس البشرية المختلفة، بحيث يكون لكل عرق عظيم رئيس يؤسسه، ويُميزه عن غيره، ويُشرف على تطوره.

وهناك إدارة أخرى هي إدارة الدين والتعليم، ومن خلالها انبثق أعظم مُعلّمي التاريخ، ومن خلالها بُعثت جميع الأديان. المسؤول الكبير على رأس هذه الإدارة إما أن يأتي بنفسه أو يُرسل أحد تلاميذه ليؤسس دينًا جديدًا عندما يرى الحاجة إليه.

لذلك، فإن جميع الأديان، عند تقديمها لأول مرة للعالم، تضمنت بيانًا مُحددًا للحقيقة، وفي جوهرها، كانت هذه الحقيقة هي نفسها دائمًا. وقد اختلفت طرق تقديمها بسبب اختلاف الأجناس التي عُرضت عليها. إن ظروف الحضارة ودرجة التطور التي وصلت إليها مختلف الأجناس جعلت من المرغوب فيه تقديم هذه الحقيقة الواحدة بأشكال متنوعة.

لكن الحقيقة الداخلية هي نفسها دائمًا، والمصدر الذي تنبع منه هو نفسه، حتى وإن بدت المراحل الخارجية مختلفة بل ومتناقضة. من الحماقة أن يتجادل البشر حول مسألة تفوق معلم أو شكل من أشكال التعليم على آخر، لأن المعلم دائمًا ما يكون مرسلًا من قِبل جماعة الأخوة العظمى من المريديين، وفي جميع نقاطه المهمة، في مبادئه الأخلاقية والمعنوية، كان التعليم هو نفسه دائمًا.

يوجد في العالم جسد أو حقيقة تكمن وراء كل هذه الأديان، وتمثل حقائق الطبيعة بقدر ما هي معروفة للإنسان حاليًا. في العالم الخارجي، وبسبب جهلهم بهذا، يتجادل الناس دائمًا ويتجادلون حول ما إذا كان هناك إله؛

وما إذا كان الإنسان ينجو من الموت؛ هل التقدم الحاسم ممكن له، وما علاقته بالكون؟ هذه الأسئلة حاضرة دائمًا في ذهن الإنسان بمجرد استيقاظه. إنها ليست بلا إجابة، كما يُفترض كثيرًا؛ بل إن إجاباتها في متناول أي شخص يبذل جهودًا مناسبة للعثور عليها.

الحقيقة قابلة للتحصيل، وشروط بلوغها ممكنة لأي شخص يبذل الجهد.

في المراحل المبكرة من تطور البشرية، كان كبار المسؤولين في التسلسل الهرمي يُقدَّمون من الخارج، من أجزاء أخرى وأكثر تطورًا من النظام، ولكن بمجرد أن يُدرَّب الرجال على المستوى اللازم من القوة والحكمة، فإنهم يشغلون هذه المناصب. لكي يكون الإنسان لائقًا لتولي مثل هذا المنصب، يجب أن يرتقي بنفسه إلى مستوى عالٍ جدًا، ويجب أن يصبح ما يُسمى بالخبير - كائنًا يتمتع بالخير والقوة والحكمة العظيمة لدرجة أنه يسمو فوق بقية البشرية، لأنه قد بلغ بالفعل قمة التطور البشري العادي؛ لقد حقق ما رسمته له خطة الإله خلال هذا العصر أو التدبير. لكن تطوره لاحقًا يستمر إلى ما بعد ذلك المستوى - يستمر إلى الألوهية.

لقد بلغ عدد كبير من البشر مستوى الماهر - رجال ليسوا من أمة واحدة، بل من جميع الأمم الرائدة في العالم - أرواح نادرة اقتحمت بشجاعة لا تقهر حصون الطبيعة، واستولت على أسرارها الخفية، وبذلك استحقوا حقًا أن يُطلق عليهم لقب الماهرين. بينهم درجات عديدة وخطوط عمل متعددة؛

ولكن يبقى بعضهم دائمًا على اتصال بأرضنا كأعضاء في هذا التسلسل الهرمي الذي يتولى إدارة شؤون عالمنا والتطور الروحي لإنسانيتنا.

غالبًا ما يُطلق على هذه الهيئة الجليلة اسم "الإخوانية البيضاء العظيمة"، لكن أعضاءها ليسوا جماعة تعيش جميعًا معًا. كلٌّ منهم، إلى حدٍّ كبير، ينعزل عن العالم، وهم على تواصل دائم مع بعضهم البعض ومع رأسهم؛ لكن معرفتهم بالقوى العليا عظيمةٌ لدرجة أن ذلك يتحقق دون أي ضرورةٍ للالتقاء في العالم المادي. في كثيرٍ من الأحيان، يستمر كلٌّ منهم في العيش في عالمه الخاص.

البلاد، وقوتهم لا تُريب بين من يعيشون بالقرب منهم. أي رجلٍ يرغب في ذلك قد يجذب انتباههم، ولكن لا يمكنه فعل ذلك إلا بإظهار نفسه جديرًا باهتمامهم. لا داعي لأن يخشى أحدٌ أن تمر جهوده مرور الكرام؛ فمثل هذا التغاضي مستحيل، لأن الرجل الذي يُكرّس نفسه لخدمةٍ كهذه، يبرز عن بقية البشرية كشعلةٍ عظيمة في ليلةٍ مظلمة. قلةٌ من هؤلاء الأتباع العظماء، الذين يعملون لخير العالم، على استعدادٍ لأخذ متدربين من عزموا على تكريس أنفسهم تمامًا لخدمة البشرية؛ ويُطلق على هؤلاء الأتباع اسم "الأساتذة."

كانت هيلينا بتروفنا بلافاتسكي، إحدى هؤلاء المتدربات، روحٌ عظيمة أُرسلت لتقديم المعرفة للعالم. أسست مع الكولونيل هنري ستيل أولكوت الجمعية الثيوصوفية لنشر هذه المعرفة التي كان عليها أن تُقدمها. كان من بين من تواصلوا معها في تلك الأيام الأولى السيد أ. ب. سينيت، محرر مجلة "الرائد"، وقد أدرك بذكائه الحاد على الفور عظمة وأهمية التعاليم التي عرضتها عليه. ورغم أن السيدة بلافاتسكي نفسها سبق أن كتبت كتاب "إيزيس مكشوفة"، إلا أنه لم يحظَ إلا بقدر ضئيل من الاهتمام، وكان السيد سينيت أول من جعل هذا التعاليم متاحًا للقراء الغربيين في كتابيه "العالم الخفي" و"البوذية الباطنية". ومن خلال هذين الكتابين تعرفتُ أنا شخصيًا على مؤلفتهما، ثم تعرفتُ على السيدة بلافاتسكي نفسها؛ ومن كليهما تعلمتُ الكثير. عندما سألتُ السيدة بلافاتسكي كيف يُمكن للمرء أن يتعلم المزيد، وكيف يُمكنه أن يُحرز تقدمًا ملموسًا على طول الطريق الذي أشارت إليه، أخبرتني بإمكانية قبول طلاب آخرين كمتدربين لدى الأساتذة العظام، كما قُبلت هي نفسها، وأن السبيل الوحيد لنيل هذا القبول هو إثبات جدارته بالعمل الجاد والإيثار. أخبرتني أنه لتحقيق هذا الهدف، يجب على المرء أن يكون مُصممًا تمامًا على تحقيق هدفه؛ وأن من يسعى لخدمة الله والمال معًا لا يُمكنه أبدًا أن يأمل في النجاح. قال أحد هؤلاء الأساتذة نفسه: "لكي ينجح، يجب على التلميذ أن يترك عالمه الخاص وينضم إلى عالمنا". هذا يعني أنه يجب أن يتوقف عن كونه واحدًا من الأغلبية التي تعيش من أجل الثروة والسلطة، وأن ينضم إلى الأقلية الضئيلة التي لا تهتم بهذه الأمور، بل تعيش فقط من أجل تكريس نفسها بإيثار لخير العالم. لقد حذّرتنا بوضوح من صعوبة الطريق، وأننا سنُساء فهمنا ونُهان من قِبل مَن لا يزالون على قيد الحياة، وأننا لا نتطلع إلا إلى العمل الجاد؛ ومع أن النتيجة أكيدة، إلا أنه لا يمكن لأحد التنبؤ بالوقت الذي سيستغرقه الوصول إليها. تقبّل بعضنا هذه الشروط بفرح، ولم نندم قط على هذا القرار.

بعد بضع سنوات من العمل، حظيتُ بشرف التواصل مع هؤلاء الأساتذة العظماء؛ وتعلمتُ منهم أشياء كثيرة - من بينها كيفية التحقق بنفسي من معظم التعاليم التي قدموها. لذا، أكتب في هذا الشأن عما أعرفه وما رأيته بنفسي. وقد ذُكرت بعض النقاط في التعاليم، للتحقق من القوى التي تتطلبها، والتي تفوق بكثير ما اكتسبته حتى الآن. منها، لا يسعني إلا أن أقول إنها متسقة مع ما أعرفه، وفي كثير من الأحيان تكون ضرورية كفروض لتفسير ما رأيته. لقد وصلتني، مع بقية النظام الثيوصوفي، بناءً على سلطة هؤلاء المعلمين العظماء. ومنذ ذلك الحين، تعلمتُ أن أفحص بنفسي الجزء الأكبر مما قيل لي، ووجدتُ أن المعلومات التي أُعطيت لي صحيحة في كل تفصيل؛ لذلك، أجدُ مبررًا لافتراض أن الجزء الآخر، الذي لم أتمكن من التحقق منه بعد، سيثبت صحته أيضًا عندما أصل إلى مستواه. إن نيل شرف القبول كمتدرب لدى أحد أساتذة الحكمة هو الهدف الذي يضعه كل طالب ثيوصوفي جاد أمامه. ولكنه يتطلب جهدًا دؤوبًا. لطالما وُجد رجال مستعدون لبذل الجهد اللازم، ولذلك وُجد دائمًا رجال يعرفون. المعرفة سامية لدرجة أنه عندما يدركها الإنسان تمامًا، يصبح أكثر من مجرد إنسان، ويتجاوز

إدراكنا. ولكن هناك مراحل في اكتساب هذه المعرفة، ويمكننا أن نتعلم الكثير إن شئنا، من أولئك الذين ما زالوا في طور التعلم؛ فكل البشر يقفون على إحدى درجات سلم التطور. يقف البدائيون عند قدميه؛ أما نحن، الكائنات المتحضرة، فقد صعدنا بالفعل جزءًا من الطريق. ولكن مع أننا نستطيع أن ننظر إلى الوراء ونرى درجات السلم التي تحتنا والتي عبرناها بالفعل، فقد ننظر أيضًا إلى الأعلى ونرى درجات عديدة فوقنا لم نبلغها بعد. وكما يقف البشر الآن على كل درجة من الدرجات التي تحتنا، بحيث يمكننا أن نرى المراحل التي ارتقى بها الإنسان، فكذلك هناك بشر ندرس كل درجة من درجات السلم التي فوقنا، لنرى من خلال دراستها كيف سيصعد الإنسان في المستقبل. ولأننا نرى البشر على كل درجة من هذا السلم، الذي يقود إلى مجد لا نملك الكلمات لوصفه بعد، فإننا نعلم أن الصعود إلى ذلك المجد ممكن لنا. أولئك الذين يقفون عالياً فوقنا، عالياً لدرجة أنهم يبدون لنا آلهة في معرفتهم وقوتهم العجيبة، يخبروننا أنهم وقفوا منذ وقت ليس ببعيد حيث نقف الآن، ويشيرون لنا بوضوح إلى الدرجات التي تقع بينهما، والتي يجب علينا أيضاً أن نخطوها إذا أردنا أن نكون مثلهم.

١٢

الفصل الثالث: تكوين النظام الشمسي

بداية الكون (إن كانت له بداية أصلاً) أبعد من إدراكنا. في أقدم نقطة في التاريخ نستطيع بلوغها، يكون النقيضان العظيمان للروح والمادة، للحياة والشكل، في كامل نشاطهما. نجد أن المفهوم العادي للمادة يحتاج إلى مراجعة، فما يُسمى عادةً بالقوة والمادة ليسا في الواقع سوى نوعين من الروح في مراحل مختلفة من التطور، والمادة الحقيقية، أو أساس كل شيء، تكمن في الخلفية غير المُدرَكة. وقد قال عالم فرنسي مؤخرًا: "لا وجود للمادة؛ لا يوجد سوى فجوات في الأثير". وهذا يتفق أيضًا مع النظرية الشهيرة للبروفيسور أوزبورن رينولدز. ويُظهر البحث في علوم الغيبيات صحة هذه النظرة، ويفسر بذلك ما تعنيه الكتب المقدسة الشرقية عندما تقول إن المادة وهم. إن المادة الجذرية النهائية، كما نراها على مستوانا، هي ما يُطلق عليه العلماء اسم "أثير الفضاء". [وُصف هذا في الكيمياء الغيبية تحت اسم "كويلون"]. يبدو الفضاء الذي تشغله فارغًا، بكل حاسة فيزيائية، ومع ذلك، في الواقع، هذا الأثير أكثر كثافة بكثير من أي شيء يُمكننا تصوره. يُعرّف البروفيسور رينولدز كثافتها بأنها أكبر بعشرة آلاف مرة من كثافة الماء، ومتوسط ضغطها سبعمائة وخمسين ألف طن للبوصة المربعة.

هذه المادة لا تُدرك إلا بقوة استبصارية متطورة للغاية.

يجب أن نفترض وقتًا (مع أننا لا نملك معرفة مباشرة بهذه النقطة) عندما ملأت هذه المادة كل الفضاء. يجب أن نفترض أيضًا أن كائنًا عظيمًا (ليس إله النظام الشمسي، بل كائنًا أعلى منه بما لا نهاية تقريبًا) غيّر حالة السكون هذه بسكب روحه أو قوته في جزء معين من هذه المادة، جزء بحجم الكون بأكمله. هذا التأثير الناتج عن إدخال هذه القوة يشبه تأثير نفخ نفس عظيم؛ لقد شكّل داخل هذا الأثير عددًا لا يُحصى من الفقاعات الكروية الصغيرة، [يُشار إلى الفقاعات في العقيدة السرية على أنها الثقوب التي يحفرها فوهات في الفضاء]. وهذه الفقاعات هي الذرات النهائية التي تتكون منها ما نسميه المادة. إنها ليست ذرات الكيميائي، ولا حتى الذرات النهائية للعالم المادي. إنها تقف على مستوى أعلى بكثير، وما يُسمى عادةً بالذرات يتكون من تجمعات هائلة من هذه الفقاعات، كما سنرى لاحقًا.

عندما يبدأ الإله الشمسي في صنع نظامه، يجد هذه المادة جاهزة بين يديه - هذه الكتلة اللانهائية من الفقاعات الصغيرة التي يمكن بناؤها إلى أنواع مختلفة من المادة كما نعرفها. يبدأ بتحديد حدود مجال نشاطه، وهي كرة شاسعة محيطها أكبر بكثير من مدار أبعد كواكبه المستقبلية. داخل حدود تلك الكرة، يُنشئ دوامة عملاقة - حركة تكتسح جميع الفقاعات لتُشكّل كتلة مركزية هائلة، هي مادة السديم الذي سيُكوّن.

في هذه الكرة الدوارة الشاسعة، يُرسل نبضات قوة متتالية، جامعًا الفقاعات في تجمعات متزايدة التعقيد، مُنتجًا بهذه الطريقة سبعة عوالم هائلة متداخلة من المادة بدرجات كثافة مختلفة، جميعها متحدة المركز وتشغل نفس المساحة.

بفعل جانبه الثالث، يُرسل إلى هذه الكرة الهائلة أول هذه النبضات. يُنشئ في جميع أنحاء الكرة عددًا هائلًا من الدوامات الصغيرة، كل منها يجذب إلى نفسه تسعة وأربعين فقاعة، ويرتبها في شكل معين. هذه التجمعات الصغيرة من الفقاعات المُشكّلة هي ذرات العالم الثاني المتداخل. لا يُستخدم العدد الكامل للفقاعات بهذه الطريقة، إذ يتبقى ما يكفي في الحالة المتفككة ليعمل كذرات للعالم الأول والأعلى من هذه العوالم. في الوقت المناسب، يأتي الدافع الثاني، الذي يستولي على جميع ذرات الفقاعات التسع والأربعين تقريبًا (تاركًا ما يكفي فقط لتوفير ذرات للعالم الثاني)، ويجذبها إلى داخله، ثم، يطردها مرة أخرى، وينشئ بينها دوامات، تحتوي كل منها على 2401 فقاعة (49^2). تُشكل هذه الذرات ذرات العالم الثالث. بعد فترة، يأتي الدافع الثالث، الذي يستولي بنفس الطريقة على جميع ذرات الفقاعات الـ 2401 تقريبًا، ويجذبها مرة أخرى إلى شكلها الأصلي، ويقذفها مرة أخرى إلى الخارج كذرات العالم الرابع - تحتوي كل ذرة في هذه المرة على 49^3 فقاعة. هذه العملية يتكرر ذلك حتى تُكوّن الدفعة السادسة من هذه النبضات المتتالية ذرة العالم السابع، أو أدنى العوالم، تلك الذرة التي تحتوي على 49^{6} من الفقاعات الأصلية.

14

هذه الذرة من العالم السابع هي الذرة النهائية للعالم المادي، وليست أيًا من الذرات التي يتحدث عنها الكيميائيون، بل هي الذرة النهائية التي تُكوّن منها جميع ذراتهم. وصلنا في هذه المرحلة إلى تلك الحالة التي تحتوي فيها الكرة الدوارة الشاسعة على سبعة أنواع من المادة، جميعها واحدة في جوهرها، لأنها جميعًا مبنية من نفس نوع الفقاعات، ولكنها تختلف في درجة كثافتها. جميع هذه الأنواع متداخلة بحرية، بحيث توجد عينات من كل نوع في جزء صغير من الكرة مأخوذة عشوائيًا في أي جزء منها، مع ميل عام للذرات الأثقل إلى الانجذاب أكثر فأكثر نحو المركز.

إن الدافع السابع الصادر من الجانب الثالث للإله لا يجذب، كما في السابق، الذرات الفيزيائية التي تكوّنت في الفقاعات الأصلية المنفصلة، بل يجمعها في تجمعات معينة، مكونًا بذلك أنواعًا مختلفة مما يمكن تسميته بالعناصر الأولية، والتي تتحد بدورها في أشكال مختلفة تُعرف في العلم بالعناصر الكيميائية. يمتد تكوين هذه العناصر على مدى عصور طويلة، ويتم تكوينها بترتيب محدد من خلال تفاعل عدة قوى، كما هو موضح بدقة في ورقة السير ويليام كروكس "نشأة العناصر."

في الواقع، لم تنتهِ عملية تكوينها حتى الآن؛ فاليورانيوم هو أحدث العناصر وأثقلها على حد علمنا، ولكن ربما يتم إنتاج عناصر أخرى أكثر تعقيدًا في المستقبل.

مع مرور العصور، ازداد التكثيف، وسرعان ما وصلنا إلى مرحلة سديم متوهج هائل. وبينما كان يبرد، وهو لا يزال يدور بسرعة، انبسط متحولًا إلى قرص ضخم، ثم انقسم تدريجيًا إلى حلقات تحيط بجسم مركزي - وهو ترتيب لا يختلف عن ما يُظهره زحل في يومنا هذا، وإن كان على نطاق أوسع بكثير. ومع اقتراب الوقت الذي ستكون فيه الكواكب ضرورية لأغراض التطور، أنشأ الإله في مكان ما في سُمك كل حلقة دوامة فرعية جُمعت فيها كمية كبيرة من مادة الحلقة تدريجيًا. تسببت تصادمات الشظايا المُجمعة في إحياء الحرارة، وكان الكوكب الناتج لفترة طويلة كتلة من الغاز المتوهج. برد شيئًا فشيئًا مرة أخرى، حتى أصبح مسرحًا للحياة مثل حياتنا. وهكذا تشكلت جميع الكواكب.

في ذلك الوقت، تركزت جميع مواد تلك العوالم المتداخلة تقريبًا في الكواكب المُتشكلة حديثًا. كان كل منها، ولا يزال، مكونًا من جميع تلك الأنواع المختلفة من المادة. الأرض التي نعيش عليها الآن ليست مجرد كرة ضخمة من المادة الفيزيائية، مبنية من ذرات ذلك العالم الأدنى، بل ارتبطت بها أيضًا وفرة من مادة العوالم السادس والخامس والرابع وغيرها. من المعروف جيدًا لجميع طلاب العلوم أن جسيمات المادة لا تلامس بعضها بعضًا أبدًا، حتى في أقسى المواد. فالمسافات بينها دائمًا أكبر بكثير من حجمها - أكبر بكثير. لذا، هناك مساحة واسعة لجميع أنواع الذرات الأخرى في جميع تلك العوالم الأخرى، ليس فقط للتواجد بين ذرات المادة الأكثر كثافة، بل للتحرك بحرية تامة بينها وحولها.

ونتيجة لذلك، فإن هذه الكرة الأرضية التي نعيش عليها ليست عالمًا واحدًا، بل سبعة عوالم متداخلة، تشغل جميعها نفس المساحة، باستثناء أن أنواع المادة الأدق تمتد أبعد من المركز من المادة الأكثر كثافة.

لقد أطلقنا أسماءً على هذه العوالم المتداخلة لتسهيل الحديث عنها. لا حاجة لتسمية العالم الأول، إذ لم يرتبط به الإنسان ارتباطًا مباشرًا بعد؛ ولكن عند ذكره، يُمكن تسميته بالعالم الإلهي. ويُوصف العالم الثاني بالعالم الأحادي، لأنه يحتوي على شرارات الحياة الإلهية التي نُسميها الموُنادات البشرية؛ ولكن لا يُمكن الوصول إلى أيٍّ منهما بأعلى درجات الاستبصار المتاحة لنا حاليًا. أما المجال الثالث، الذي تحتوي ذراته على 2401 فقاعة، فيُسمى العالم الروحي، لأنه يعمل فيه الروح الأسمى في الإنسان كما هو مُكوّن الآن. أما العالم الرابع فهو العالم الحدسي، [الذي كان يُسمى سابقًا في الأدب الثيوصوفي بالمستوى البوذي]، لأنه منه تنبع أعلى الحدوس. أما العالم الخامس فهو العالم العقلي، لأن عقل الإنسان يُبنى من مادته. ويُسمى العالم السادس العالم العاطفي أو النجمي، لأن عواطف الإنسان تُسبب تموجات في مادته. (أطلق

عليه الكيميائيون في العصور الوسطى اسم النجمي، لأن مادته نجمية أو متألقة مقارنةً بعالم أكثر كثافة). أما العالم السابع، فهو يتكون من نوع المادة التي نراها حولنا، ويُسمى العالم المادي.

المادة التي تُبنى منها كل هذه العوالم المتداخلة هي في جوهرها نفس المادة، ولكنها مختلفة في الترتيب ودرجات الكثافة.

قبل ذلك، تختلف أيضًا معدلات اهتزاز هذه الأنواع المختلفة من المادة عادةً. ويمكن اعتبارها سلسلةً واسعةً من التموجات تتكون من العديد من الأوكتافات. تستخدم المادة الفيزيائية عددًا معينًا من أدنى هذه الأوكتافات، والمادة النجمية مجموعةً أخرى من الأوكتافات أعلى منها بقليل، والمادة العقلية مجموعةً أخرى، وهكذا.

لا يقتصر الأمر على أن لكلٍّ من هذه العوالم نوعه الخاص من المادة فحسب، بل لديه أيضًا مجموعته الخاصة من تجمعات تلك المادة - مواده الخاصة. في كل عالم، نُصنّف هذه المواد في سبع فئات وفقًا لمعدل اهتزاز جزيئاتها. عادةً، ولكن ليس دائمًا، يتضمن التذبذب الأبطأ أيضًا جزيئًا أكبر - جزيئًا، أي جزيئًا مُكوّنًا من ترتيب خاص للجزيئات الأصغر من القسم الفرعي الأعلى التالي. يزيد تطبيق الحرارة من حجم الجزيئات، ويُسرّع ويضخّم تموجاتها، بحيث تغطي مساحة أكبر، ويتمدد الجسم ككل، حتى تصل إلى النقطة التي يتفكك فيها تجمع الجزيئات، وينتقل الأخير من حالة إلى أخرى أعلى منه. في مادة العالم الفيزيائي، تُمثّل الأقسام الفرعية السبعة بسبع درجات من كثافة المادة، والتي نُطلق عليها، بدءًا من الأسفل إلى الأعلى، أسماء: الصلبة، والسائلة، والغازية، والأثيرية، والأثيرية الفائقة، ودون الذرية، والذرية.

القسم الذري هو القسم الذي تُبنى فيه جميع الأشكال عن طريق ضغط الذرات الفيزيائية إلى أشكال معينة، دون أي تجميع مسبق لهذه الذرات في كتل أو جزيئات. وبوصف الذرة الفيزيائية النهائية في الوقت الحالي بقالب، فإن أي شكل في القسم الذري يُصنع عن طريق جمع بعض القوالب، وبنائها في شكل معين. لتكوين المادة للقسم الفرعي الأدنى التالي، يُجمع أولاً عدد معين من الطوب (الذرات) ويُلصق في كتل صغيرة، كل منها، مثلاً، أربع طوب، أو خمس طوب، أو ست طوب، أو سبع طوب؛ ثم تُستخدم هذه الكتل المصنوعة بهذه الطريقة كأحجار بناء. للقسم الفرعي التالي، تُشكل عدة كتل من القسم الفرعي الثاني، مُلصقة بأشكال معينة، أحجار بناء، وهكذا حتى القسم الأدنى.

إن تحويل أي مادة من الحالة الصلبة إلى السائل (أي صهرها) هو زيادة اهتزاز جزيئاتها المركبة، حتى تتفكك في النهاية إلى الجزيئات الأبسط التي بُنيت منها. يمكن تكرار هذه العملية في جميع الحالات مرارًا وتكرارًا، حتى يُمكن اختزال أي مادة فيزيائية إلى الذرات النهائية للعالم المادي. ١٧

لكلٍّ من هذه العوالم سكانه، الذين لا تستطيع حواسهم عادةً الاستجابة إلا لاهتزازات عالمهم الخاص. فالإنسان الذي يعيش (كما نفعل جميعًا) في العالم المادي يرى ويسمع ويشعر من خلال اهتزازات المادة المادية المحيطة به. وهو محاطٌ بالعالم النجمي والعقلي، بالإضافة إلى عوالم أخرى تتداخل مع عالمه الأكثر كثافة، ولكنه عادةً ما يكون فاقدًا للوعي بها، لأن حواسه لا تستطيع الاستجابة لاهتزازات مادتها، تمامًا كما لا تستطيع أعيننا المادية الرؤية من خلال اهتزازات الضوء فوق البنفسجي، مع أن التجارب العلمية تُثبت وجودها، وأن هناك وعيًا آخر بأعضاء مختلفة التكوين، يستطيع الرؤية من خلالها. قد يشغل كائنٌ يعيش في العالم النجمي نفس المساحة التي يشغلها كائنٌ يعيش في العالم المادي، ومع ذلك، يكون كلٌّ منهما فاقدًا للوعي تمامًا بالآخر، ولن يعيق أيًّا منهما حركته الحرة بأي شكل من الأشكال. وينطبق الأمر نفسه على جميع العوالم الأخرى. فنحن في هذه اللحظة محاطون بعوالم من مادة أدق، قريبة منا كالعالم الذي نراه، وسكانها يمرون من خلالنا وحولنا، لكننا لا نعي وجودهم إطلاقًا.

بما أن تطورنا يتركز حاليًا على هذه الكرة التي نسميها الأرض، فإننا سنتحدث عن هذه العوالم العليا بالارتباط بها فقط، لذا عندما أستخدم مصطلح "العالم النجمي" في المستقبل، سأعني به الجزء النجمي من عالمنا فقط، وليس (كما في السابق) الجزء النجمي من النظام الشمسي بأكمله. هذا الجزء النجمي من عالمنا هو أيضًا كرة، ولكنه من مادة نجمية. إنه يشغل نفس مكان الكرة التي نراها، لكن مادته (لأنها أخف بكثير) تمتد في الفضاء من جميع جوانبنا أبعد مما يمتد إليه الغلاف الجوي للأرض - أبعد بكثير. يمتد إلى مسافة أقل بقليل من متوسط مسافة القمر، لذا على الرغم من أن الكرتين الفيزيائيتين، الأرض والقمر، تبعدان مسافة تقارب 240,000 ميل، فإن الكرتين النجميتين لهذين الجسمين تلامسان بعضهما البعض عندما يكون القمر في الحضيض، ولكن ليس عندما يكون في الأوج. سأطبق مصطلح "العالم العقلي" على الكرة الأكبر من المادة العقلية التي توجد في وسطها أرضنا المادية. عندما نصل إلى الكرات الأعلى، نجد كرات كبيرة بما يكفي لتلامس الكرات المقابلة للكواكب الأخرى في النظام، مع أن مادتها تدور حولنا بنفس القدر.

هنا على سطح الأرض الصلبة، كما هو الحال مع غيرها. كل هذه الكرات من المادة الدقيقة جزء منا، وكلها تدور حول الشمس (١٨) بجزئها المرئي. يُحسن بالطالب أن يُعوّد نفسه على التفكير في أرضنا كمجموعة من العوالم المتداخلة، وليس فقط الكرة المادية الصغيرة نسبيًا في مركزها.

١٩

الفصل الرابع: تطور الحياة

جميع دوافع الحياة التي وصفتها بأنها تُشكل العوالم المتداخلة تنبع من الجانب الثالث للإله.

ولذلك، يُطلق على هذا الجانب في المفهوم المسيحي اسم "واهب الحياة"، الروح الذي حلّ على وجه مياه الفضاء. أما في الأدبيات الثيوصوفية، فعادةً ما تُؤخذ هذه الدوافع ككل، وتُسمى "الفيض الأول."

عندما أُعدّت العوالم إلى هذا الحد، وكانت معظم العناصر الكيميائية موجودة بالفعل، حدث الفيض الثاني للحياة، وقد جاء هذا من الجانب الثاني للإله. وقد جلب معه قوة التركيب. ففي جميع العوالم، وجد ما يمكن اعتباره عناصر مقابلة لتلك العوالم. ثم شرع في دمج تلك العناصر في كائنات حية، ثم نفخ فيها الروح، وبهذه الطريقة بنى ممالك الطبيعة السبع. تعترف الثيوصوفية بالممالك السبع، لأنها تعتبر الإنسان منفصلاً عن مملكة الحيوان، وتأخذ في الاعتبار مراحل تطور متعددة لا تراها العين المادية، وتطلق عليها اسم العصور الوسطى "ممالك العناصر". تتدفق الحياة الإلهية في المادة من الأعلى، ويمكن تصور مسارها بأكمله على مرحلتين: الاستحواذ التدريجي على مادة أكثر كثافة، ثم التخلص التدريجي من المركبات التي تم الاستحواذ عليها. إن أقدم مستوى يُمكن فيه ملاحظة مركباته علميًا هو المستوى العقلي - الخامس، بدءًا من الأدق إلى الأغلظ، وهو الأول الذي توجد عليه كرات منفصلة. في الدراسة العملية، يُجد من المناسب تقسيم هذا العالم العقلي إلى قسمين، نُسميهما الأعلى والأدنى وفقًا لدرجة كثافة مادتهما. يتكون الأعلى من ثلاثة أقسام فرعية أدق للمادة العقلية؛ والجزء الأدنى من الأقسام الأربعة الأخرى.

عندما يصل التدفق إلى العالم العقلي الأعلى، فإنه يجمع العناصر الأثيرية هناك، ويجمعها في ما يُقابل في ذلك المستوى الجواهر، ومن هذه الجواهر يبني الأشكال التي يسكنها. نُسمي هذه المملكة العناصرية الأولى. بعد فترة طويلة من التطور عبر أشكال مختلفة في ذلك المستوى، تتعلم موجة الحياة، التي تضغط باستمرار نحو الأسفل، أن تُعرّف نفسها تمامًا بتلك الأشكال، بحيث، بدلًا من احتلالها والانسحاب منها دوريًا، تُصبح قادرة على الاحتفاظ بها بشكل دائم وجعلها جزءًا منها، بحيث يمكنها الآن من ذلك المستوى الانتقال إلى احتلال مؤقت لأشكال في مستوى أدنى.

وعندما تصل إلى هذه المرحلة، نُسميها مملكة العناصر الثانية، حيث تسكن حياة التأنيس في المستويات العقلية العليا، بينما تكون المركبات التي تتجلى من خلالها في المستويات الدنيا.

وبعد فترة طويلة أخرى مماثلة، وُجد أن الضغط نحو الأسفل قد تسبب في تكرار هذه العملية؛ فمرة أخرى، تتطابق الحياة مع أشكالها، وتستقر في المستويات العقلية الدنيا، بحيث تصبح

قادرة على تأنيس الأجساد في العالم النجمي. في هذه المرحلة، نُسميها مملكة العناصر الثالثة. نتحدث عن جميع هذه الأشكال على أنها أدق أو أغلظ نسبةً إلى بعضها البعض، لكنها جميعها أدقّ بكثير من أي شكل نعرفه في العالم المادي. كلٌّ من هذه الأشكال الثلاثة مملكة من عوالم الطبيعة، تتنوع في تجليات أشكال الحياة المختلفة فيها، كما تتنوع مملكة الحيوان أو النبات التي نعرفها. بعد فترة طويلة من عيشه في أرواح مملكة العناصر الثالثة، يُعرّف نفسه بها بدوره، فيكون قادرًا على إضفاء روح على الجزء الأثيري من مملكة المعادن، ويصبح الحياة التي تُحييها - فهناك حياة في مملكة المعادن تمامًا كما هو الحال في النبات أو الحيوان، على الرغم من أنها في ظروف لا يمكنها فيها أن تتجلى بحرية. في سياق تطور المعدن، يدفعه الضغط التنازلي إلى إضفاء روح على المادة الأثيرية للعالم المادي، ومن ثمّ إلى إضفاء روح على المادة الأكثر كثافة للمعادن التي تُدركها حواسنا. في مملكة المعادن، لا يقتصر الأمر على ما يُسمى عادةً بالمعادن فحسب، بل يشمل أيضًا السوائل والغازات والعديد من المواد الأثيرية التي يجهلها العلم الغربي. كل ما نعرفه عن المادة هو مادة حية، والحياة التي تحتويها في تطور دائم. عندما تصل إلى النقطة المركزية للمرحلة المعدنية، يتوقف الضغط الهابط، ويحل محله ميل تصاعدي؛ يتوقف الزفير ويبدأ السحب.

21

عندما يكتمل تطور المعدن، تكون الحياة قد انسحبت من جديد.

إلى العالم النجمي، حاملاً معه جميع النتائج التي حصل عليها من خلال تجاربه في العالم المادي. في هذه المرحلة، يتخذ أشكالاً نباتية، ويبدأ في إظهار نفسه بوضوح أكبر على أنه ما نسميه عادةً الحياة - الحياة النباتية من جميع الأنواع؛ وفي مرحلة لاحقة من تطوره، يترك المملكة النباتية ويتخذ المملكة الحيوانية. إن بلوغ هذا المستوى هو علامة على أنه انسحب أكثر، وأنه يعمل الآن من العالم العقلي الأدنى. لكي يعمل في المادة المادية من ذلك العالم العقلي، يجب أن يعمل من خلال المادة النجمية المتداخلة؛ وهذه المادة النجمية لم تعد الآن جزءًا من رداء الروح الجماعية ككل، بل هي الجسد النجمي الفردي للحيوان المعني، كما سيُشرح لاحقًا.

في كل من هذه الممالك، لا يمر فقط بفترة زمنية طويلة جدًا في رأينا، بل يمر أيضًا بمسار تطوري محدد، بدءًا من المظاهر الدنيا لتلك المملكة وانتهاءً بالأعلى. في عالم النبات، على سبيل المثال، قد تبدأ قوة الحياة مسيرتها باحتلال الأعشاب أو الطحالب، وتنتهي بنفخ الروح في أشجار الغابات الرائعة. أما في عالم الحيوان، فقد تبدأ بالبعوض أو بالحيويات، وقد تنتهي بأرقى نماذج الثدييات.

العملية برمتها هي عملية تطور مطرد من الأشكال الدنيا إلى العليا، ومن الأبسط إلى الأكثر تعقيدًا. لكن ما يتطور ليس الشكل أساسًا، بل الحياة الكامنة فيه. تتطور الأشكال أيضًا وتنمو بشكل أفضل بمرور الوقت؛ ولكن هذا لكي تكون مركبات مناسبة لموجات حياة أكثر تقدمًا. عندما تصل الحياة إلى أعلى مستوى ممكن في عالم الحيوان، قد تنتقل بعد ذلك إلى عالم الإنسان، في ظل ظروف سيتم شرحها لاحقًا.

يغادر التدفق مملكة وينتقل إلى أخرى، بحيث لو اضطررنا للتعامل مع موجة واحدة فقط من هذا التدفق، لكان لدينا مملكة واحدة فقط في كل مرة. لكن الإله يُرسل تتابعًا مستمرًا من هذه الموجات، بحيث نجد في أي وقت عددًا منها يعمل في آنٍ واحد. نحن أنفسنا نُمثل إحدى هذه الموجات؛ لكننا نجد موجة أخرى تتطور إلى جانبنا تُنْشِئُ مملكة الحيوان - موجة خرجت من الإله متأخرةً بمرحلة عنّا. نجد أيضًا مملكة النبات، التي تُمثل موجةً ثالثةً، ومملكة المعادن، التي تُمثل موجةً رابعةً؛ ويعلم علماء الخوارق بوجود ثلاث ممالك عنصرية حولنا، تُمثل الموجات الخامسة والسادسة والسابعة. ومع ذلك، فإن كل هذه تموجات متتالية من التدفق العظيم نفسه من الجانب الثاني للإله. لدينا هنا، إذن، مخطط تطور تتعمق فيه الحياة الإلهية أكثر فأكثر في المادة، لتستقبل من خلالها اهتزازات لا يمكن أن تؤثر عليها لولاها - صدمات من الخارج، تُثير تدريجيًا داخلها معدلات تموج تتوافق مع معدلاتها الخاصة، فتتعلم الاستجابة لها. لاحقًا، تتعلم من نفسها توليد هذه المعدلات من التموج، فتصبح بذلك كائنًا يمتلك قوى روحية.

قد نفترض أنه عندما انبثق هذا التدفق من الحياة في الأصل من الإله، على مستوى يتجاوز تمامًا قدرتنا على الإدراك، ربما كان متجانسًا؛ ولكن عندما يدخل إلى الإدراك العملي لأول مرة، عندما يكون هو نفسه في العالم الحدسي، ولكنه يُنْشِئ أجسادًا مصنوعة من مادة العالم العقلي الأعلى، فإنه لا يكون بالفعل روحًا عالمية ضخمة واحدة، بل أرواحًا عديدة. لنفترض تدفقًا متجانسًا، يُمكن اعتباره روحًا هائلة، في أحد طرفي الميزان؛ وفي الطرف الآخر، عندما نصل إلى الإنسانية، نجد أن هذه الروح الهائلة مُقسّمة إلى ملايين من أرواح البشر الصغيرة نسبيًا. في أي مرحلة بين هذين الطرفين، نجد حالة وسيطة، وهي روح العالم الهائلة المُقسّمة بالفعل، ولكن ليس إلى أقصى حدّ ممكن من التقسيم.

كل إنسان هو روح، ولكن ليس كل حيوان أو كل نبات. الإنسان، كروح، لا يُمكن أن يتجلى إلا من خلال جسد واحد في كل مرة في العالم المادي، بينما تتجلى روح حيوانية واحدة في وقت واحد من خلال عدد من أجساد الحيوانات، وروح نباتية واحدة من خلال عدد من النباتات المنفصلة. الأسد، على سبيل المثال، ليس كيانًا منفصلًا بشكل دائم كما هو الإنسان. عندما يموت الإنسان - أي عندما يضع جسده المادي جانبًا كروح - فإنه يبقى هو نفسه تمامًا كما كان من قبل، كيانًا منفصلًا عن جميع الكيانات الأخرى. عندما يموت الأسد، تُسكب روحه

المنفصلة في الكتلة التي انبثقت منها - كتلة تُزوّد في الوقت نفسه أرواحًا لأسود أخرى كثيرة. نطلق على هذه الكتلة اسم "روح المجموعة."

23

ترتبط بهذه الروح الجماعية عدد كبير من أجساد الأسود - لنقل مئة. كل جسد من هذه الأجساد، أثناء حياته، مُرتبط به جزء من مئة من روح المجموعة، ويبدو أن هذا في الوقت الحالي منفصلان، بحيث يكون الأسد فردًا طوال حياته الجسدية كالإنسان؛ لكنه ليس فردًا دائمًا.

عندما يموت، تعود روحه إلى روح المجموعة التي تنتمي إليها، ولا يمكن فصل روح الأسد المتطابقة تلك عن المجموعة مرة أخرى.

قد يساعد تشبيه مفيد على الفهم. تخيل أن روح المجموعة ممثلة بالماء في دلو، وأن أجساد الأسود المئة ممثلة بمئة كوب. عندما يُغمس كل كوب في الدلو، يُخرج منه كوبًا مليئًا بالماء (الروح المنفصلة). يتخذ هذا الماء شكل المركبة التي يملأها، وينفصل مؤقتًا عن الماء المتبقي في الدلو، وعن الماء في الأكواب الأخرى.

الآن، ضع في كل كوب من الأكواب المئة نوعًا من مادة التلوين أو نوع من المنكهات. سيمثل ذلك الصفات التي اكتسبتها من تجاربها في روح الأسد المنفصلة خلال حياته. أعد صب الماء من الكوب إلى الدلو؛ فهذا يمثل موت الأسد. ستتوزع المادة الملونة أو المنكّهة في كامل ماء الدلو، ولكن سيكون لونها أضعف بكثير، ونكهتها أقل وضوحًا عند توزيعها بهذه الطريقة مما كانت عليه عندما كانت محصورة في كوب واحد. وبالتالي، فإن الصفات التي اكتسبتها من تجربة أسد واحد مرتبط بتلك الروح الجماعية مشتركة بين روح المجموعة بأكملها، ولكن بدرجة أقل بكثير. قد نخرج كوبًا آخر من الماء من ذلك الدلو، لكننا لن نحصل أبدًا على نفس الكوب تمامًا بعد خلطه مع الباقي. كل كوب مأخوذ من ذلك الدلو في المستقبل سيحتوي على بعض آثار اللون أو المنكّهة التي وُضعت في كل كوب أُعيد محتواه إلى الدلو. هكذا تمامًا، ستصبح الصفات التي تُطورها تجربة أسد واحد ملكية مشتركة لجميع الأسود التي ستولد في المستقبل من تلك الروح الجماعية، وإن كان ذلك بدرجة أقل من تلك التي وُجدت بها في الأسد الفرد الذي طورها.

هذا هو تفسير الغرائز الموروثة؛ ولهذا السبب، فإن البطة التي فقستها دجاجة تنطلق إلى الماء على الفور دون الحاجة إلى تعليمها كيفية السباحة؛ ولهذا السبب، فإن الدجاجة التي خرجت لتوها من قشرتها تنكمش أمام ظل صقر؛ ولهذا السبب، فإن الطائر الذي فُقس اصطناعيًا، ولم يرَ عشًا قط، يعرف مع ذلك كيفية صنع واحد، ويصنعه وفقًا لتقاليد نوعه.

في أدنى سلم الحياة الحيوانية، ترتبط أعداد هائلة من الأجساد بروح جماعية واحدة - ملايين لا تُحصى، على سبيل المثال، في حالة بعض الحشرات الأصغر حجمًا؛ لكن مع ارتقائنا في مملكة الحيوان، يتناقص عدد الأجساد المرتبطة بروح جماعية واحدة، وبالتالي تزداد الاختلافات بين الأفراد. وهكذا تتفكك أرواح المجموعات تدريجيًا. وبالعودة إلى رمز الدلو، حيث تُسحب منه أقداح الماء تلو الأخرى، وتُلوَّن بمادة ملونة، ثم تُعاد إليه، يصبح دلو الماء بأكمله أغنى لونًا تدريجيًا. لنفترض أنه بدرجات غير محسوسة، يتشكل غشاء عمودي عبر مركز الدلو، ويتصلب تدريجيًا في قسم، بحيث يصبح لدينا الآن نصف أيمن ونصف أيسر للدلو، وكل كوب ماء يُسحب يُعاد دائمًا إلى نفس القسم الذي جاء منه. عندها سيظهر فرق، ولن يكون السائل في أحد نصفي الدلو هو نفسه السائل في النصف الآخر. لدينا إذًا دلوان تقريبًا، وعندما تصل هذه المرحلة في روح جماعية، تنقسم إلى قسمين، كما تنفصل الخلية بالانشطار. وبهذه الطريقة، ومع ازدياد ثراء التجربة، تصغر أرواح المجموعات، لكن يزداد عددها، حتى نصل في أعلى نقطة إلى الإنسان بروحه الفردية الوحيدة، التي لم تعد تعود إلى مجموعة، بل تبقى منفصلة دائمًا. إحدى موجات الحياة تُنعش مملكة بأكملها؛ ولكن لن تمر كل روح جماعية في تلك الموجة عبر تلك المملكة بأكملها من الأسفل إلى الأعلى. فإذا كانت روح جماعية معينة في مملكة النبات قد نفخت روحًا في أشجار الغابات، فإنها عندما تنتقل إلى مملكة الحيوان، ستتجاهل جميع المراحل الدنيا - أي أنها لن تسكن الحشرات أو الزواحف أبدًا، بل ستبدأ فورًا من مستوى الثدييات الدنيا. ستُنعش الحشرات والزواحف بفضل أرواح جماعية غادرت، لسببٍ ما، عالم النبات إلى مستوى أدنى بكثير من عالم الأشجار. وبالمثل، لن تتفرّد أرواح المجموعة التي بلغت أعلى مستويات عالم الحيوان إلى متوحشين بدائيين، بل إلى بشر من نوعٍ أعلى نوعًا ما، حيث يُجنّد المتوحشون البدائيون من أرواح جماعية غادرت عالم الحيوان إلى مستوى أدنى.

ترتّب أرواح المجموعة، في أي مستوى أو على جميع المستويات، نفسها في سبعة أنواعٍ عظيمة، وفقًا لوزير الإله الذي انسكبت من خلاله حياتها. هذه الأنواع واضحة.

يمكن تمييزها بسهولة في جميع الممالك، وتشكل الأشكال المتتالية التي يتخذها أي منها سلسلة متصلة، بحيث يمكن ترتيب الحيوانات والنباتات والمعادن وأنواع المخلوقات الأولية في سبع مجموعات كبيرة، ولن تتفرع الحياة التي تأتي على أحد هذه الخطوط إلى أي من المجموعات الأخرى.

لم تُوضع قائمة مفصلة حتى الآن بالحيوانات أو النباتات أو المعادن من هذا المنظور؛ ولكن من المؤكد أن الحياة التي تُوجد في معدن من نوع معين لن تُحيي معدنًا من أي نوع آخر غير معدنها، وإن كانت قد تختلف داخل هذا النوع. عندما تنتقل إلى مملكتي النبات والحيوان،

ستسكن نباتات وحيوانات من هذا النوع دون غيره؛ وعندما تصل في النهاية إلى الإنسانية، ستتفرد إلى بشر من هذا النوع دون غيره.

طريقة التفرد هي رفع روح حيوان معين إلى مستوى أعلى بكثير مما بلغته روح مجموعته بحيث لا يمكنها العودة إلى هذا النوع. لا يمكن تحقيق ذلك مع أي حيوان، بل مع من نما دماغه إلى مستوى معين، والطريقة المتبعة عادةً لاكتساب هذا النمو العقلي هي جعل الحيوان على اتصال وثيق بالإنسان. لذا، فإن التفرد ممكن فقط للحيوانات الأليفة، ولأنواع معينة منها فقط. على رأس كل نوع من الأنواع السبعة يقف نوع واحد من الحيوانات الأليفة - الكلب لنوع واحد، والقط لنوع آخر، والفيل لنوع ثالث، والقرد لنوع رابع، وهكذا. يمكن ترتيب الحيوانات البرية جميعها على سبعة خطوط تؤدي إلى الحيوانات الأليفة؛ على سبيل المثال، من الواضح أن الثعلب والذئب على نفس الخط مع الكلب، بينما الأسد والنمر والفهد يؤديان بوضوح متساوٍ إلى القطة الأليفة؛ بحيث أن الروح الجماعية التي تُحيي مئة أسد المذكورة سابقًا قد تكون انقسمت في مرحلة لاحقة من تطورها إلى، لنقل، خمس أرواح جماعية تُحيي كل منها عشرين قطة. ٢٦

تقضي موجة الحياة فترة طويلة في كل مملكة؛ ونحن الآن على بُعد قليل من منتصف هذه الحقبة، وبالتالي، فإن الظروف غير مواتية لتحقيق تلك الفردية التي لا تأتي عادةً إلا في نهاية كل فترة. قد تُلاحظ أحيانًا حالات نادرة من هذا التحصيل لدى بعض الحيوانات التي تتقدم كثيرًا على المتوسط. إن الارتباط الوثيق بالإنسان ضروري لتحقيق هذه النتيجة. فالحيوان، إذا عومل بلطف، يُنمّي عاطفة مخلصة تجاه صديقه البشري، كما يُطلق العنان لقدراته العقلية في محاولة فهمه وتوقع رغباته.

بالإضافة إلى ذلك، تؤثر عواطف الإنسان وأفكاره باستمرار على عواطف الحيوان وأفكاره، وتميل إلى رفعه إلى مستوى أعلى عاطفيًا وفكريًا. في ظل ظروف مواتية، قد يتطور هذا التطور إلى حدّ ينفصل فيه الحيوان تمامًا عن الجماعة التي ينتمي إليها، بحيث تصبح شظيته من روح الجماعة قادرة على الاستجابة للفيض القادم من الجانب الأول للإله.

فهذا الفيض الأخير ليس كغيره، تدفقًا هائلًا يؤثر على الآلاف أو الملايين في آنٍ واحد؛ بل يأتي إلى كل واحد على حدة عندما يكون مستعدًا لاستقباله. لقد نزل هذا الفيض بالفعل إلى العالم الحدسي؛ لكنه لا يتجاوز ذلك حتى تقوم روح الحيوان بهذه القفزة الصاعدة من الأسفل؛ ولكن عندما يحدث ذلك، يقفز هذا الفيض الثالث إلى الأسفل لملاقاته، وفي العالم العقلي الأعلى تتشكل الأنا، والفردية الدائمة - دائمة، أي حتى يتجاوزها الإنسان في مرحلة لاحقة من تطوره ويعود إلى الوحدة الإلهية التي جاء منها. ولتكوين هذه الأنا، يصبح جزء روح الجماعة (الذي لعب حتى الآن دور القوة المُنْشِئة) بدوره مركبة، ويُنْشِئُ هو نفسه بواسطة تلك الشرارة الإلهية

التي سقطت فيه من أعلى. ويمكن القول إن تلك الشرارة كانت تحوم في العالم الأحادي فوق روح الجماعة طوال تطورها السابق، غير قادرة على إحداث اتصال بها حتى تطور جزءها المقابل في روح الجماعة بما يكفي للسماح بذلك. إن هذا الانفصال عن بقية روح الجماعة وتكوين أنا منفصلة هو ما يُميز بين أعلى حيوان وأدنى إنسان.

الفصل الخامس. تكوين الإنسان

الإنسان إذن، في جوهره، شرارة من النار الإلهية، تنتمي إلى العالم الموناد‌ي.

أسماء جديدة

أسماء قديمة: ١. العالم الإلهي (مستوى آدي) ٢. العالم المونادي

مستوى أنوباداكا ٣. العالم الروحي (مستوى آتي أو نيرفاني) ٤. العالم الحدسي (مستوى بوذي) ٥. العالم العقلي (مستوى عقلي) ٦. العالم العاطفي أو النجمي (مستوى نجمي) ٧. العالم المادي (مستوى مادي)

نُطلق على تلك الشرارة، الساكنة دائمًا في ذلك العالم، اسم "موناد". لأغراض التطور البشري، تتجلى الموناد في العوالم الدنيا. عندما تنزل إلى مستوى واحد وتدخل العالم الروحي، تظهر هناك كروح ثلاثية ذات ثلاثة جوانب (كما هو الحال في العوالم الأعلى بلا حدود، حيث يمتلك الإله جوانبه الثلاثة). من بين هذه الثلاثة، يبقى واحدٌ دائمًا في ذلك العالم، ونسميه الروح في الإنسان. يتجلى الجانب الثاني في العالم الحدسي، ونسميه الحدس في الإنسان. أما الثالث، فيتجلى في العالم العقلي الأعلى، ونسميه الذكاء في الإنسان. تُشكل هذه الجوانب الثلاثة مجتمعةً الأنا التي تُنْشِئُ شظيةً من روح المجموعة. وهكذا، فإن الإنسان كما نعرفه، وإن كان في الواقع مونادًا يقيم في العالم المونادي، يُظهر نفسه كأنا في العالم العقلي الأعلى، مُظهرًا هذه الجوانب الثلاثة من ذاته (الروح والحدس والذكاء) من خلال تلك المركبة من المادة العقلية العليا التي نسميها الجسم السببي.

ستحل هذه الأسماء محل الأسماء الواردة في المجلد الثاني من كتاب "الحياة الداخلية."

هذه الأنا هي الإنسان خلال المرحلة الإنسانية من التطور؛ إنها أقرب تطابق، في الواقع، مع المفهوم غير العلمي الشائع للروح. إنه يعيش دون تغيير (باستثناء نموه) من لحظة التفرد حتى ترقى البشرية وتندمج في الألوهية. لا يتأثر بأي شكل من الأشكال بما نسميه الميلاد والموت؛ فما نعتبره عادةً حياته ليس سوى يوم واحد في حياته. الجسد الذي نراه، الجسد الذي يولد ويموت، هو ثوب يرتديه لأغراض جزء معين من تطوره.

1 وقد قرر الرئيس الآن مجموعة من الأسماء للمستويات، لذا ستُستخدم هذه الأسماء في المستقبل بدلاً من تلك المستخدمة سابقًا. فيما يلي جدول بها للرجوع إليه.

28

وليس هو الجسد الوحيد الذي يتخذه. قبل أن يتمكن هو، الأنا في العالم العقلي الأعلى، من اتخاذ مركبة تنتمي إلى العالم المادي، يجب عليه أن يقيم صلة به من خلال العالمين العقلي والنجمي الأدنى.

عندما يرغب في النزول، يلف حوله حجابًا من مادة العالم العقلي الأدنى، والذي نسميه جسده العقلي. هذه هي الأداة التي يفكر بها في جميع أفكاره الملموسة - فالفكر المجرد قوة الأنا نفسها في العالم العقلي الأعلى. ثم يُحيط نفسه بحجاب من المادة النجمية، نسميه جسده النجمي؛ وهو أداة عواطفه وعواطفه، وهو أيضًا (بالاشتراك مع الجزء السفلي من جسده العقلي) أداة كل فكر مشوبة بالأنانية والمشاعر الشخصية. فقط بعد أن يتخذ هذه المركبات الوسيطة، يمكنه أن يلامس جسدًا ماديًا وليدًا، ويولد في العالم الذي نعرفه. يعيش ما نسميه حياته، مكتسبًا صفات معينة نتيجة تجاربه؛ وفي نهايتها، عندما ينهك الجسد المادي، يعكس عملية النزول ويتخلى عن المركبات المؤقتة التي اتخذها واحدة تلو الأخرى. أول ما يزول هو الجسد المادي، وعندما يُسقط، تتمركز حياته في العالم النجمي ويعيش في جسده النجمي. تعتمد مدة إقامته في ذلك العالم على مقدار العاطفة والانفعال اللذين نماهما في نفسه خلال حياته المادية. فإذا كان هناك الكثير منهما، يكون الجسم النجمي مفعمًا بالحيوية، ويستمر طويلًا؛ أما إذا كان هناك القليل، فإن الجسم النجمي يكون أقل حيوية، وسيتمكن قريبًا من التخلص من تلك المركبة بدوره. وعندما يتم ذلك، يجد نفسه يعيش في جسده العقلي. تعتمد قوة ذلك على طبيعة الأفكار التي اعتاد عليها، وعادةً ما تكون إقامته في هذا المستوى طويلة. في النهاية، تنتهي، فيتخلص من الجسد العقلي بدوره، ويعود الأنا في عالمه الخاص.

نظرًا لنقص النمو، فهو لا يزال واعيًا جزئيًا في ذلك العالم؛ فاهتزازات مادته سريعة جدًا بحيث لا تترك أي انطباع عليه، تمامًا كما أن الأشعة فوق البنفسجية سريعة جدًا بحيث لا تترك أي انطباع على أعيننا. بعد راحة هناك، يشعر برغبة في النزول إلى مستوى تُدرك فيه التموجات، ليشعر بحياته الكاملة؛ فيُكرر عملية النزول إلى مادة أكثر كثافة، ويتخذ مرة أخرى جسدًا عقليًا ونجميًا وماديًا. وبما أن أجساده السابقة قد تحللت، كلٌّ في قاعه، فإن هذه المركبات الجديدة مختلفة تمامًا عنها، وهكذا يحدث أنه في حياته الجسدية لا يتذكر أي شيء عن حيوات أخرى مماثلة.

لقد سبقوه.

عندما يعمل في هذا العالم المادي، يتذكر من خلال جسده العقلي؛ ولكن بما أنه جديد، مُفترض لهذه الولادة فقط، فمن الطبيعي ألا يحتوي على ذكرى الولادات السابقة التي لم يكن له فيها دور. الإنسان نفسه، الأنا، يتذكرها جميعًا عندما يكون في عالمه الخاص، وأحيانًا يتسرب بعض الذكريات الجزئية أو التأثير منها إلى مركباته الدنيا. لا يتذكر عادةً، في حياته المادية،

تجارب الحيوات السابقة، لكنه يُظهر في الحياة المادية الصفات التي طورتها تلك التجارب فيه. لذا، فإن كل إنسان هو بالضبط ما صنعه خلال تلك الحيوات الماضية؛ إذا طور فيها صفات جيدة، فإنه يمتلكها الآن؛ إذا أهمل تدريب نفسه، وبالتالي ترك نفسه ضعيفًا وذا طبع سيء، فإنه يجد نفسه بالضبط في تلك الحالة الآن. الصفات، سواء كانت جيدة أو سيئة، التي يولد بها هي تلك التي صنعها لنفسه. هذا التطور للأنا هو هدف عملية التجسيد بأكملها؛ فهو يتخذ تلك الحجب المادية تحديدًا لأنه من خلالها يستطيع استقبال ذبذبات يستجيب لها، فتتكشف بذلك قدراته الكامنة. ومع أن الإنسان ينزل من العلاء إلى هذه العوالم الدنيا، فإنه من خلال هذا النزول فقط يتطور لديه إدراك كامل للعوالم العليا. يتضمن الوعي الكامل في أي عالم معين القدرة على إدراك جميع تموجات ذلك العالم والاستجابة لها: لذلك، لا يمتلك الإنسان العادي وعيًا كاملاً على أي مستوى - ولا حتى في هذا العالم المادي الذي يظن أنه يعرفه. من الممكن له أن يكشف عن إدراكه في جميع هذه العوالم، ومن خلال هذا الوعي المتطور نلاحظ كل هذه الحقائق التي أصفها الآن.

الجسم السببي هو المركبة الدائمة للأنا في العالم العقلي الأعلى. وهو يتكون من مادة الأقسام الفرعية الأول والثاني والثالث من ذلك العالم. في الناس العاديين، لم تكن المادة نشطة بالكامل بعد، بل المادة التي تنتمي إلى القسم الثالث هي التي تنبض بالحياة. وبينما يكشف الأنا عن إمكانياته الكامنة خلال مسيرة تطوره الطويلة، تُفعّل المادة العليا تدريجيًا، لكنها لا تتطور إلى أقصى حد إلا في الإنسان الكامل الذي نسميه الماهر. يمكن تمييز هذه المادة بالرؤية البصيرة، ولكن فقط من قِبل الرائي الذي يعرف كيفية استخدام رؤية الأنا.

من الصعب وصف الجسم السببي وصفًا كاملًا، لأن الحواس التي تنتمي إلى عالمه مختلفة تمامًا عن حواسنا، بل هي أعلى منها في هذا المستوى. إن ذاكرة ظهور الجسم السببي، التي يمكن أن يُدخلها الرائي إلى دماغه المادي، تُصوّره بيضاويًا، ويحيط بالجسم المادي للإنسان، ممتدًا إلى مسافة حوالي ثمانية عشر بوصة من السطح الطبيعي لذلك الجسم. في حالة الإنسان البدائي، يشبه فقاعة، ويُعطي انطباعًا بالفراغ. إنه في الواقع ممتلئ بمادة عقلية عليا، ولكن بما أن هذه المادة لم تُفعّل بعد، فإنه يبقى عديم اللون وشفافًا. ومع استمرار التقدم، يُثار تدريجيًا إلى حالة اليقظة بواسطة اهتزازات تصل إليه من الأجسام الدنيا. يحدث هذا ببطء، لأن أنشطة الإنسان في المراحل المبكرة من تطوره ليست من النوع الذي يُعبّر عنه في مادة دقيقة كجسمه العقلي الأعلى؛ ولكن عندما يصل الإنسان إلى مرحلة يكون فيها قادرًا على التفكير المجرد أو العاطفة غير الأنانية، تُثار مادة الجسم السببي للاستجابة. وعندما تستيقظ هذه المعدلات من التموجات بداخله، فإنها تظهر في جسمه السببي كألوان، بحيث بدلًا من أن تكون مجرد فقاعة شفافة، تصبح تدريجيًا كرة مليئة بمادة من أجمل الألوان وأكثرها رقة - جسمًا جميلًا يفوق كل تصور. وقد وُجد بالتجربة أن لهذه الألوان دلالة. يظهر الاهتزاز الذي يدل على قوة المودة

غير الأنانية بلون وردي باهت؛ أما ما يدل على قوة فكرية عالية فهو الأصفر؛ وما يعبر عن التعاطف فهو الأخضر، بينما يدل الأزرق على الشعور التعبدي، ويرمز الأزرق الليلكي المضيء إلى الروحانية السامية. وينطبق نفس نظام دلالة الألوان على الأجسام المبنية من مادة أكثر كثافة، ولكن كلما اقتربنا من العالم المادي، تكون الألوان في كل حالة أكثر خشونة بالمقارنة - ليس فقط أقل رقة، بل وأقل حيوية أيضًا.

في سياق التطور في العوالم الدنيا، غالبًا ما يُدخل الإنسان في مركباته صفات غير مرغوب فيها وغير مناسبة تمامًا لحياته كأنا - مثل الكبرياء، والانفعال، والشهوانية. هذه، مثل البقية، قابلة للاختزال إلى اهتزازات، لكنها في جميع الأحوال اهتزازات الأقسام الفرعية الدنيا لعوالمها الخاصة، وبالتالي لا يمكنها إعادة إنتاج نفسها في الجسم السببي، الذي بني حصريًا من مادة الأقسام الفرعية الثلاثة العليا.

انقسامات عالمه. فكل قسم من الجسد النجمي يؤثر بقوة على القسم المقابل من الجسد العقلي، ولكن فقط على القسم المقابل؛ ولا يمكنه التأثير على أي جزء آخر. لذا، لا يمكن للجسد السببي أن يتأثر إلا بالأجزاء الثلاثة العليا من الجسد النجمي؛ وتذبذبات هذه الأجزاء لا تمثل إلا الصفات الجيدة. والنتيجة العملية لذلك هي أن الإنسان لا يستطيع أن يبني في الأنا (أي في ذاته الحقيقية) سوى الصفات الجيدة؛ أما الصفات السيئة التي يطورها فهي بطبيعتها زائلة ويجب التخلص منها مع تقدمه، لأنه لم يعد لديه مادة تعبر عنها. الفرق بين الجسدين السببيين للوحشي والقديس هو أن الأول فارغ وعديم اللون، بينما الثاني مليء بألوان زاهية متلألئة. عندما يتجاوز الإنسان حتى القداسة ويصبح قوة روحية عظيمة، يزداد حجم جسده السببي، لأنه يحمل الكثير ليعبر عنه، ويبدأ أيضًا في سكب أشعة قوية من نور حي من نفسه في جميع الاتجاهات. في من بلغ الرشد، يكون هذا الجسد ذا أبعاد هائلة.

يتكون الجسد العقلي من مادة من الأقسام الفرعية الأربعة الدنيا للعالم العقلي، ويعبر عن أفكار الإنسان الملموسة. هنا أيضًا نجد نفس مخطط الألوان كما في الجسد السببي. تكون درجات الألوان أقل دقة إلى حد ما، ونلاحظ إضافة أو اثنتين. على سبيل المثال، تظهر فكرة الكبرياء باللون البرتقالي، بينما يتجلى الانفعال بلون قرمزي لامع. قد نرى هنا أحيانًا اللون البني الفاتح للجشع، والبني الرمادي للأنانية، والأخضر الرمادي للخداع. هنا أيضًا ندرك إمكانية وجود مزيج من الألوان؛ قد يشوب الأنانية المودة والفكر والإخلاص، فتختلط ألوانها المميزة ببني الأنانية، فنبدو بمظهرٍ غير نقيّ وموحل. ورغم أن جزيئاته دائمًا في حركة سريعة للغاية فيما بينها، إلا أن هذا الجسم يتميز في الوقت نفسه بنوع من التنظيم غير المحكم.

يُحدد حجم وشكل الجسم العقلي من خلال حجم وشكل الناقل السببي. فيه خطوطٌ تُقسّمُه إلى أجزاء، كلٌّ منها يُناظر قسمًا مُحددًا من الدماغ، بحيث يعمل كل نوع من التفكير من خلال

الجزء المُخصص له. لا يزال الجسم العقلي غير مكتمل النمو لدى البشر العاديين، لدرجة أن هناك الكثيرين ممن لم تنشط لديهم بعدُ أقسامٌ خاصة، وأي محاولةٍ للتفكير في تلك الأقسام يجب أن تمر عبر قناةٍ غير مناسبة، والتي تصادف أنها مفتوحةٌ تمامًا. النتيجة هي أن التفكير في هذه المواضيع يكون أخرقًا وغير مدرك. لهذا السبب يمتلك بعض الناس ذكاءً رياضيًا بينما يعجز آخرون عن الجمع بشكل صحيح - ولهذا السبب يفهم بعض الناس الموسيقى ويقدرونها ويستمتعون بها غريزيًا، بينما لا يميز آخرون لحنًا عن آخر.

ينبغي أن تدور جميع مواد الجسم العقلي بحرية، ولكن أحيانًا يسمح الإنسان لفكره في موضوع معين بأن يستقر ويتصلب، وعندها تُعيق الدورة، ويحدث احتقان يتصلب سريعًا ليتحول إلى نوع من الثؤلول على الجسم العقلي. يبدو لنا هذا الثؤلول هنا كتحيز؛ وإلى أن يُمتص ويُعاد دورانه الحر، يستحيل على الإنسان أن يفكر تفكيرًا حقيقيًا أو أن يرى بوضوح فيما يتعلق بهذا الجزء من عقله، لأن الاحتقان يعيق المرور الحر للتموجات الخارجية والداخلية. عندما يستخدم الإنسان أي جزء من جسمه العقلي، فإنه لا يهتز بسرعة أكبر مؤقتًا فحسب، بل ينتفخ أيضًا ويزداد حجمه مؤقتًا. وإذا طال التفكير في موضوع ما، تصبح هذه الزيادة دائمة، وبالتالي يكون من الممكن لأي إنسان زيادة حجم جسمه العقلي، سواءً على أسس مرغوبة أو غير مرغوبة.

تُنتج الأفكار الجيدة اهتزازات من المادة الدقيقة للجسم، والتي تميل، بفعل جاذبيتها النوعية، إلى الطفو في الجزء العلوي من الشكل البيضاوي؛ بينما الأفكار السيئة، كالأنانية والجشع، هي دائمًا اهتزازات للمادة الأكثر ضخامة، والتي تميل إلى الانجذاب نحو الجزء السفلي من الشكل البيضاوي. وبالتالي، فإن الإنسان العادي، الذي يُسلم نفسه في كثير من الأحيان لأفكار أنانية متنوعة، عادةً ما ينتفخ الجزء السفلي من جسمه العقلي، فيبدو تقريبًا كبيضة، طرفها الأكبر متجهًا للأسفل. الإنسان الذي كبت تلك الأفكار الدنيا، وكرّس نفسه لأفكار عليا، يميل إلى توسيع الجزء العلوي من جسده العقلي، ولذلك يبدو كبيضة واقفة على طرفها الأصغر. من خلال دراسة ألوان وخطوط جسد الإنسان العقلي، يستطيع المستبصر إدراك شخصيته والتقدم الذي أحرزه في حياته الحالية. ومن خلال السمات المشابهة للجسد السببي، يستطيع أن يرى التقدم الذي أحرزته الأنا منذ تكوينها الأصلي، عندما غادر الإنسان عالم الحيوان.

عندما يفكر الإنسان في أي شيء ملموس - كتاب، منزل، منظر طبيعي - يبني صورة مصغرة له في ذهنه. تطفو هذه الصورة في الجزء العلوي من ذلك الجسم، عادةً أمام وجهه وعلى مستوى عينيه تقريبًا. وتبقى هناك ما دام الرجل يتأمل الشيء، وعادةً لفترة قصيرة بعد ذلك، وتعتمد مدتها على شدة الفكرة وصفائها. هذا الشكل موضوعي تمامًا، ويمكن لشخص آخر رؤيته، إذا كان ذلك الآخر قد طور رؤية ذهنه. إذا فكر رجل في شخص آخر، فإنه يرسم صورة مصغرة بنفس الطريقة. إذا كان فكره مجرد تأمل ولم يتضمن أي شعور (مثل المودة أو

الكراهية) أو رغبة (مثل الرغبة في رؤية الشخص)، فإن الفكر لا يؤثر عادةً بشكل ملحوظ على الشخص الذي يفكر فيه. إذا اقترن بفكر الشخص شعور، كما في حالة العاطفة مثلاً، تحدث ظاهرة أخرى إلى جانب تكوين الصورة. يتخذ فكر العاطفة شكلاً محدداً، يبنيه من مادة الجسم العقلي للمفكر. وبسبب العاطفة المتضمنة، فإنه يجذب حوله أيضاً مادة الجسم النجمي، وهكذا نحصل على شكل عقلي فلكي يقفز من الجسم الذي تولد فيه، ويتحرك عبر الفضاء نحو موضوع الشعور بالعاطفة. إذا كانت الفكرة قوية بما يكفي، فلا تُحدث المسافة فرقاً بالنسبة لها على الإطلاق؛ لكن فكر الشخص العادي يكون عادةً ضعيفاً ومشتتاً، وبالتالي غير مؤثر خارج نطاق محدود. وعندما يصل هذا الشكل الفكري إلى موضوعه، فإنه يُفرغ نفسه في جسديه النجمي والعقلي، ناقلاً إليهما معدل اهتزازه الخاص. بعبارة أخرى، فإن فكرة الحب المرسلة من شخص لآخر تتضمن نقلًا فعليًا لكمية معينة من القوة والمادة من المُرسِل إلى المُستقبِل، وتأثيرها على المُستقبِل هو إثارة شعور المودة لديه، وزيادة قدرته على الحب، ولو بشكل طفيف ولكن دائم. لكن مثل هذه الفكرة تُعزز أيضًا قوة المودة لدى المُفكِّر، وبالتالي فهي تُفيد كليهما في آن واحد.

كل فكرة تبني شكلًا؛ إذا وُجِّهت إلى شخص آخر، فإنها تنتقل إليه؛ إذا كانت أنانية بشكل واضح، فإنها تبقى في جوار المُفكِّر المُباشر؛ إذا لم تكن تنتمي إلى أيٍّ من هاتين الفئتين، فإنها تطفو في الفضاء لفترة من الوقت ثم تتلاشى ببطء. لذلك، كل إنسان يترك وراءه أينما ذهب أثرًا من أشكال الفكر؛ فبينما نسير في الشارع، نسير طوال الوقت وسط بحر من أفكار الآخرين. إذا ترك الإنسان عقله فارغًا لفترة، فإن بقايا أفكار الآخرين تتسلل إليه، ولا تترك في أغلب الأحيان سوى انطباع ضئيل عليه. أحيانًا تصل فكرة تجذب انتباهه، فيستحوذ عليها عقله ويستحوذ عليها، ويعززها بقوتها، ثم يطردها مجددًا لتؤثر في شخص آخر. لذا، لا يكون الإنسان مسؤولًا عن أي فكرة تخطر بباله، لأنها قد لا تكون فكرته، بل فكرة شخص آخر؛ ولكنه مسؤول إذا استوعبها، وتأمل فيها، ثم أطلقها معززة.

يحيط الفكر الأناني، مهما كان نوعه، بالمفكر، ويحيط معظم الناس أجسادهم العقلية بغلاف من هذه الأفكار. هذا الغلاف يحجب الرؤية العقلية ويسهل تكوين الأحكام المسبقة.

كل شكل فكري هو كيان مؤقت. يشبه بطارية مشحونة، تنتظر فرصة لتفريغ شحنتها. يميل الفكر دائمًا إلى إعادة إنتاج معدل اهتزازه الخاص في الجسم العقلي الذي يُثبّت نفسه عليه، وبالتالي إثارة فكرة مماثلة فيه. إذا كان الشخص المُوجّه إليه مشغولًا أو منغمسًا بالفعل في سلسلة محددة من الأفكار، فإن جزيئات جسمه العقلي تتأرجح بالفعل بمعدل معين محدد، ولا يمكن في الوقت الحالي التأثير عليها من الخارج. في هذه الحالة، ينتظر شكل الفكر وقته، معلقًا حول موضوعه حتى يرتاح بما يكفي للسماح بدخوله؛ ثم يُفرغ نفسه عليه، ويتوقف عن الوجود أثناء ذلك. يتصرف الفكر المتمركز حول الذات بنفس الطريقة تمامًا فيما يتعلق بمولده، ويُفرغ

نفسه عليه عندما تُتاح الفرصة. إذا كانت فكرة شريرة، فإنه يعتبرها عمومًا إيحاءً بشيطان مُغوٍ، بينما في الحقيقة يُغوي نفسه. عادةً ما تُنشئ كل فكرة محددة شكلًا فكريًا جديدًا؛ ولكن إذا كان هناك شكل فكري من نفس الطبيعة يحوم حول المفكر، ففي ظل ظروف معينة، فإن فكرة جديدة حول الموضوع نفسه، بدلًا من أن تُنشئ شكلًا جديدًا، تندمج مع القديم وتُعززه، بحيث يُمكن للإنسان، بتأمله الطويل في الموضوع نفسه، أن يُنشئ أحيانًا شكلًا فكريًا ذا قوة هائلة. وإذا كانت الفكرة شريرة، فقد تُصبح هذه الفكرة تأثيرًا شريرًا حقيقيًا، يدوم ربما لسنوات عديدة، ويمتلك لفترة من الوقت كل مظاهر وقدرات الكيان الحي الحقيقي.

كل ما وُصف هو أفكار بشرية عادية غير مُدبَّرة. يمكن للإنسان أن يُنشئ شكلاً فكرياً عمداً، ويوجهه نحو شخص آخر بهدف مساعدته. هذا أحد مسارات النشاط التي يتبعها أولئك الذين يرغبون في خدمة الإنسانية. قد يكون التدفق المستمر للفكر القوي الموجه بذكاء نحو شخص آخر أعظم عون له. قد يكون الشكل الفكري القوي ملاكاً حارساً حقيقياً، يحمي موضوعه من الشوائب، ومن الانفعال، ومن الخوف.

ومن الفروع الشيقة لهذا الموضوع دراسة الأشكال والألوان المختلفة التي تتخذها أشكال الفكر على اختلاف أنواعها. تشير الألوان إلى طبيعة الفكر، وتتفق مع تلك التي وصفناها سابقاً بأنها موجودة في الأجسام. الأشكال متنوعة للغاية، لكنها غالباً ما تكون، بطريقة ما، نموذجية لنوع الفكر الذي تُعبِّر عنه. كل فكرة ذات طابع محدد، كفكرة المودة أو الكراهية، أو الإخلاص أو الشك، أو الغضب أو الخوف، أو الكبرياء أو الغيرة، لا تُنشئ شكلاً فحسب، بل تُشعّ أيضاً تموجاً. إن كون كل فكرة من هذه الأفكار مُعبّراً عنها بلون مُعيّن يُشير إلى أن الفكرة تُعبّر عن نفسها كتذبذب في مادة جزء مُعيّن من الجسم العقلي. ينتقل هذا التذبذب إلى المادة العقلية المُحيطة تماماً بنفس الطريقة التي ينتقل بها اهتزاز الجرس إلى الهواء المُحيط.

ينتقل هذا الإشعاع في جميع الاتجاهات، وكلما اصطدم بجسم عقلي آخر في حالة سلبية أو مُستقبلة، فإنه يُوصل إليه شيئاً من اهتزازه الخاص. هذا لا ينقل فكرة كاملة مُحددة، كما يفعل شكل الفكر، ولكنه يميل إلى إنتاج فكرة من نفس طابعه. على سبيل المثال، إذا كانت الفكرة عبادة، فإن تموجاتها ستثير العبادة، ولكن قد يختلف موضوع العبادة باختلاف الشخص الذي تؤثر فيه. من ناحية أخرى، لا يمكن لشكل الفكرة أن يصل إلا لشخص واحد، ولكنه سينقل إليه (إذا كان متقبلاً) ليس فقط شعوراً عبادة عاماً، بل أيضاً صورة دقيقة للكائن الذي كان الشعور بالعبادة من أجله في الأصل.

أي شخص يفكر عادةً بأفكار نقية وطيبة وقوية، فإنه يستخدم لهذا الغرض الجزء الأعلى من جسده العقلي - وهو جزء لا يستخدمه الإنسان العادي إطلاقاً، وهو غير متطور فيه تماماً. لذا، فإن مثل هذا الشخص هو قوة خير في العالم، وهو ذو فائدة كبيرة لجميع جيرانه القادرين على

أي نوع من الاستجابة. لأن الاهتزاز الذي يُرسله يميل إلى إثارة جزء جديد وأعلى من أجسادهم العقلية، وبالتالي يفتح أمامهم مجالات فكرية جديدة كليًا. قد لا يكون الفكر هو نفسه الفكر المُرسل، ولكنه من نفس الطبيعة. إن التموجات التي يُولدها الإنسان المُفكر في الثيوصوفية لا تنقل بالضرورة أفكارًا ثيوصوفية إلى كل من حوله؛ لكنها تُوقظ فيهم فكرًا أكثر تحررًا وسموًا مما اعتادوا عليه سابقًا. من ناحية أخرى، فإن أشكال الفكر المُتولدة في مثل هذه الظروف، وإن كانت أكثر محدودية في تأثيرها من الإشعاع، فهي أيضًا أكثر دقة؛ لا يُمكنها التأثير إلا على أولئك المنفتحين عليها إلى حد ما، ولكنها ستنقل إليهم أفكارًا ثيوصوفية مُحددة.

تحمل ألوان الجسم النجمي نفس معنى ألوان المركبات الأعلى، لكنها أدنى منها بعدة درجات لونية، وأقرب بكثير إلى تلك الألوان التي نراها في العالم المادي. إنه ناقل العاطفة والانفعال، وبالتالي قد يُظهر ألوانًا إضافية، تُعبر عن مشاعر الإنسان الأقل استحسانًا، والتي لا يُمكن أن تُظهر نفسها في مستويات أعلى؛ على سبيل المثال، يُشير اللون الأحمر البني الصارخ إلى وجود الحسية، بينما تُظهر الغيوم السوداء الحقد والكراهية. يدل اللون الرمادي الشاحب الغريب على وجود الخوف، بينما يُشير اللون الرمادي الداكن، والذي عادةً ما يكون مُرتبًا في حلقات ثقيلة حول الشكل البيضاوي، إلى حالة من الاكتئاب. يُظهر وجود عدد من البقع القرمزية الصغيرة في الجسم النجمي الانفعال من خلال وجود عدد من البقع القرمزية الصغيرة، تُمثل كل منها دافعًا صغيرًا للغضب. تُظهر الغيرة من خلال لون أخضر بني غريب، عادةً ما يكون مرصعًا بنفس البقع القرمزية. يشبه الجسم النجمي في الحجم والشكل تلك الموصوفة للتو، وفي الرجل العادي عادةً ما يكون مخططه الخارجي واضحًا. لكن في حالة الإنسان البدائي، غالبًا ما يكون غير منتظم للغاية، ويشبه سحابة متدحرجة مكونة من جميع الألوان الأكثر كريهة.

عندما يكون الجسم النجمي هادئًا نسبيًا (لا يهدأ أبدًا)، فإن الألوان التي يمكن رؤيتها فيه تشير إلى تلك المشاعر التي اعتاد الإنسان على الاستسلام لها. عندما يختبر الإنسان اندفاعًا من أي شعور معين، فإن معدل الاهتزاز الذي يعبر عن هذا الشعور يهيمن لفترة من الوقت على الجسم النجمي بأكمله. على سبيل المثال، إذا كان ذلك تفانيًا، فإن جسمه النجمي بأكمله يكون محمرًا باللون الأزرق، وبينما تبقى العاطفة في أقوى حالاتها، لا تُغير الألوان العادية اللون الأزرق إلا قليلاً، أو تظهر بشكل خافت من خلال حجاب منه؛ ولكن سرعان ما تتلاشى حدة المشاعر، وتعود الألوان العادية لتؤكد نفسها. ولكن بسبب هذا التشنج العاطفي، ازداد حجم الجزء من الجسم النجمي الذي يكون عادةً أزرق اللون.

وهكذا، فإن الإنسان الذي يشعر بتفانٍ شديد سرعان ما يمتلك مساحة كبيرة من اللون الأزرق موجودة بشكل دائم في جسمه النجمي.

عندما يجتاحه فيضان الشعور التعبدي، فإنه عادةً ما يكون مصحوبًا بأفكار التعبدي. ورغم أن هذه الأفكار تتشكل أساسًا في الجسم العقلي، إلا أنها تجذب حول نفسها كمية كبيرة من المادة النجمية أيضًا، بحيث يكون تأثيرها في كلا العالمين. وفي كلا العالمين أيضًا الإشعاع الذي وُصف سابقًا، بحيث يكون الإنسان التعبدي مركزًا للتعبد، وسيؤثر على الآخرين لمشاركة أفكاره ومشاعره. وينطبق الأمر نفسه على العاطفة، والغضب، والاكتئاب، بل على جميع المشاعر الأخرى.

فيضان المشاعر بحد ذاته لا يؤثر تأثيرًا كبيرًا على الجسد العقلي، مع أنه قد يجعل من شبه المستحيل، لفترة من الوقت، أن ينتقل أي نشاط من ذلك الجسد العقلي إلى الدماغ المادي. ليس لأن ذلك الجسد نفسه متأثر، بل لأن الجسد النجمي، الذي يعمل كجسر بينه وبين الدماغ المادي، يهتز كليًا بمعدل واحد لدرجة أنه عاجز عن نقل أي تموج لا ينسجم مع ذلك.

تؤثر الألوان الدائمة للجسد النجمي على العقل. تُنتج فيه تطابقاتها، أعلى بعدة أوكتافات، بنفس الطريقة التي تُنتج بها النوتة الموسيقية نغمات توافقية. يتفاعل الجسد العقلي بدوره مع السببية بنفس الطريقة، وهكذا تترسخ جميع الصفات الجيدة المعبر عنها في المركبات الدنيا تدريجيًا في الأنا. لا تستطيع الصفات الشريرة فعل ذلك، لأن معدلات الاهتزازات التي تعبر عنها مستحيلة بالنسبة للمادة العقلية العليا التي يُبنى منها الجسم السببي.

حتى الآن، وصفنا المركبات التي تُمثل الأنا في عوالمها الخاصة - مركبات يوفرها لنفسه؛ في العالم المادي نصل إلى مركبة توفرها له الطبيعة بموجب قوانين سيتم شرحها لاحقًا - والتي على الرغم من أنها أيضًا بمعنى ما تعبير عنه، إلا أنها ليست بأي حال من الأحوال مظهرًا مثاليًا. في الحياة العادية، لا نرى سوى جزء صغير من هذا الجسم المادي - فقط ما هو مبني من التقسيمات الفرعية الصلبة والسائلة للمادة المادية. يحتوي الجسم على مادة من جميع التقسيمات الفرعية السبعة، وكلها تلعب دورها في حياته ولها أهمية متساوية بالنسبة له.

عادةً ما نتحدث عن الجزء غير المرئي من الجسم المادي باعتباره المزدوج الأثيري؛ "مزدوج" لأنه يُعيد إنتاج حجم وشكل الجزء المرئي من الجسم بدقة، و"أثيري" لأنه مصنوع من ذلك النوع الدقيق من المادة الذي ينتقل الضوء عبر اهتزازاته إلى شبكية العين. (يجب عدم الخلط بينه وبين الأثير الحقيقي للفضاء، الذي تُمثل المادة نقيضه). لهذا الجزء غير المرئي من الجسم المادي أهمية كبيرة بالنسبة لنا، لأنه الوسيلة التي تتدفق عبرها تيارات الحيوية التي تُبقي الجسم حيًا، وبدونه، كجسر لنقل تموجات الفكر والشعور من المادة النجمية إلى المادة المادية المرئية الأكثر كثافة، لا يمكن للأنا استخدام خلايا دماغها.

حياة الجسم المادي في تغير دائم، ولكي يحيا، يحتاج باستمرار إلى التزود من ثلاثة مصادر متميزة.

يجب أن يكون لديه طعام لهضمه، وهواء لتنفسه، وحيوية لامتصاصه. هذه الحيوية في جوهرها قوة، ولكن عندما تُلبس بالمادة، تظهر لنا كعنصر محدد، موجود في جميع العوالم التي تحدثنا عنها. نحن الآن معنيون بتجلياتها التي نجدها في أعلى أقسام العالم المادي. فكما يسري الدم في الأوردة، تجري الحيوية على طول الأعصاب؛ وكما يؤثر أي خلل في تدفق الدم على الجسم المادي فورًا، فإن أدنى خلل في امتصاص أو تدفق الحيوية يؤثر على هذا الجزء الأعلى منه.

39

الحيوية قوة مصدرها الشمس. فعندما تُشحن ذرة فيزيائية نهائية بها، فإنها تجذب حول نفسها ست ذرات أخرى، فتُصبح عنصرًا أثيريًا. ثم تنقسم قوة الحيوية الأصلية إلى سبع ذرات، تحمل كل ذرة منها شحنة منفصلة. يُمتص العنصر المُكوّن بهذه الطريقة في جسم الإنسان من خلال الجزء الأثيري من الطحال. وهناك، يُقسّم إلى أجزائه المُكوّنة، والتي ترتبط مباشرةً بمختلف أجزاء الجسم المُخصصة لها. الطحال هو أحد مراكز القوة السبعة في الجزء الأثيري من الجسم المادي. في كلٍّ من مركباتنا، يجب أن تكون سبعة من هذه المراكز في حالة نشاط، وعندما تكون نشطة، تكون مرئية للرؤية المُبصِرة. تبدو عادةً مثل الدوامات السطحية، لأنها النقاط التي تدخل منها القوة من الأجسام العليا إلى الأجسام السفلى. في الجسم المادي، توجد هذه المراكز: (1) عند قاعدة العمود الفقري، (2) عند الضفيرة الشمسية، (3) عند الطحال، (4) فوق القلب، (5) عند الحلق، (6) بين الحاجبين، و(7) عند قمة الرأس. هناك مراكز خاملة أخرى، لكن استيقاظها غير مرغوب فيه.

شكل جميع الأجسام العليا كما يراها العراف بيضاوي الشكل، لكن المادة المكونة لها ليست موزعة بالتساوي في جميع أنحاء البيضة. في وسط هذا الشكل البيضاوي يوجد الجسم المادي. يجذب الجسم المادي المادة النجمية بقوة، وبدورها تجذب المادة النجمية بقوة المادة العقلية. لذلك، فإن الجزء الأكبر من مادة الجسم النجمي يتجمع داخل الإطار المادي؛ وينطبق الشيء نفسه على المركبة العقلية. إذا رأينا الجسد النجمي للإنسان في عالمه الخاص، فبغض النظر عن الجسد المادي، سنظل ندرك المادة النجمية متجمعة في شكل الجسد المادي تمامًا، مع أن المادة أكثر سيولة في طبيعتها، فما نراه هو جسد مبني من ضباب كثيف، وسط شكل بيضاوي من ضباب أدق بكثير. وينطبق الشيء نفسه على الجسد العقلي. لذلك، إذا التقينا بشخص نعرفه في العالم النجمي أو العقلي، فسنتعرف عليه من خلال مظهره بنفس السرعة التي نتعرف عليه بها في العالم المادي.

هذه إذن هي طبيعة الإنسان الحقيقية. فهو في المقام الأول موناد، شرارة إلهية. والأنا تعبير جزئي عن هذا الموناد، مُشكل ليتمكن من دخول التطور، وليعود إلى الموناد بفرح، حاملاً معه

حزمه على شكل صفات طورتها الخبرة المكتسبة. الأنا بدورها تُنزل جزءًا من نفسها لنفس الغرض في عوالم أدنى، ونُسمي ذلك الجزء شخصية، لأن الكلمة اللاتينية persona تعني قناعًا،

40

وهذه الشخصية هي القناع الذي تضعه الأنا على نفسها عندما تتجلى في عوالم أدنى من عالمها. وكما أن الأنا جزء صغير وتعبير ناقص عن الموناد، فكذلك الشخصية جزء صغير وتعبير ناقص عن الأنا؛ لذا فإن ما نفكر فيه عادةً على أنه الإنسان ليس في الحقيقة سوى جزء من جزء.

ترتدي الشخصية ثلاثة أجساد أو مركبات: العقلي، والنجمي، والمادي. وبينما يكون الإنسان ما نسميه حيًا وواعيًا على الأرض المادية، فإنه محدود بجسده المادي، لأنه يستخدم الجسدين النجمي والعقلي فقط كجسور لربط نفسه بأدنى مركبته. ومن قيود الجسد المادي أنه يُصاب بالتعب بسرعة ويحتاج إلى راحة دورية. كل ليلة، يترك الإنسان مركبته النجمية لينام، وينسحب إلى مركبته النجمية التي لا تتعب، وبالتالي لا تحتاج إلى نوم. خلال نوم الجسد المادي هذا، يكون الإنسان حرًا في الحركة في العالم النجمي؛ لكن مدى قيامه بذلك يعتمد على تطوره. عادةً لا يتحرك البدائي البدائي أكثر من بضعة أميال بعيدًا عن جسده النائم - وغالبًا ليس إلى هذا الحد؛ ولديه وعيٌ غامضٌ للغاية.

يستطيع الإنسان المتعلم عمومًا السفر في مركبته النجمية أينما يشاء، ولديه وعيٌ أكبر بكثير في العالم النجمي، مع أنه غالبًا ما يفتقر إلى القدرة على استحضار أي ذكرى لما رآه وفعله أثناء نوم جسده المادي. أحيانًا يتذكر حادثة رآها، أو تجربةً ما، فيسميها حلمًا واضحًا. غالبًا ما تتشابك ذكرياته بشكلٍ ميؤوس منه مع ذكرياتٍ غامضة عن حياة اليقظة، ومع انطباعاتٍ خارجيةٍ على الجزء الأثيري من دماغه. وهكذا نصل إلى أحلام الحياة العادية المُربكة، والتي غالبًا ما تكون سخيفة. يصبح الإنسان المُتطور واعيًا ونشطًا تمامًا في العالم النجمي كما هو الحال في العالم المادي، ويُدخل إلى العالم الآخر ذكرى كاملة لما كان يفعله في العالم الأول - أي أنه يعيش حياةً مستمرةً دون أي فقدانٍ للوعي طوال الأربع والعشرين ساعة، وبالتالي طوال حياته المادية، وحتى خلال الموت نفسه.

41

الفصل السادس: بعد الموت

الموت هو خلع الجسد المادي؛ لكنه لا يُحدث فرقًا بالنسبة للأنا أكثر من خلع المعطف بالنسبة للإنسان المادي. بعد أن خلع الأنا جسده المادي، استمر في العيش في جسده النجمي حتى استُنفدت القوة التي تولدت من المشاعر والعواطف التي سمح لنفسه بالشعور بها خلال حياته الأرضية. عندما يحدث ذلك، يحدث الموت الثاني؛ ويسقط الجسد النجمي عنه أيضًا، ويجد نفسه يعيش في الجسد العقلي وفي العالم العقلي السفلي. ويبقى على هذه الحالة حتى تُستنفد قوى الفكر التي تولدت خلال حياته الجسدية والنجمية؛ ثم يتخلى عن المركبة الثالثة بدوره ويعود أنا في عالمه الخاص، ساكنًا جسده السببي.

إذن، لا وجود للموت كما هو الحال عادةً.

مفهوم.

لا يوجد سوى تتابع لمراحل في حياة متصلة - مراحل تُعاش في العوالم الثلاثة واحدة تلو الأخرى. يختلف توزيع الوقت بين هذه العوالم الثلاثة اختلافًا كبيرًا مع تقدم الإنسان. يعيش الإنسان البدائي حصريًا تقريبًا في العالم المادي، ويقضي بضع سنوات فقط في العالم النجمي في نهاية كل حياة من حياته المادية. ومع نموه، تطول حياته النجمية، ومع ازدياد نضجه الفكري، وقدرته على التفكير، يبدأ في قضاء بعض الوقت في العالم العقلي أيضًا. يبقى الإنسان العادي من الأجناس المتحضرة في العالم العقلي لفترة أطول منه في العالمين المادي والنجمي؛ في الواقع، كلما تطور الإنسان، طالت حياته العقلية وقصرت حياته في العالم النجمي.

الحياة النجمية هي نتيجة جميع المشاعر التي تحمل في طياتها عنصر الذات. إذا كانت أنانية بشكل مباشر، فإنها تضعه في ظروف شديدة السوء في العالم النجمي؛ إذا كانت، وإن كانت مشوبة بأفكار ذاتية، طيبة ولطيفة، فإنها تجلب له حياة نجمية ممتعة نسبيًا، وإن كانت لا تزال محدودة. إن أفكاره ومشاعره التي كانت غير أنانية تمامًا تُنتج نتائجها في حياته في العالم العقلي؛ لذلك، لا يمكن أن تكون هذه الحياة في العالم العقلي إلا سعيدة. الحياة النجمية، التي صنعها الإنسان لنفسه إما بائسة أو سعيدة نسبيًا، تتوافق مع ما يسميه المسيحيون المطهر؛ أما الحياة العقلية الدنيا، التي تكون دائمًا سعيدة تمامًا، فهي ما يُسمى الجنة. يصنع الإنسان لنفسه مطهره وجنته، وهذه ليست عوالم، بل حالات وعي. الجحيم غير موجود؛ إنه مجرد خيال لاهوتي؛ لكن الإنسان الذي يعيش بحماقة قد يصنع لنفسه مطهرًا كريهًا وطويل الأمد. لا يمكن للمطهر ولا الجنة أن يكونا أبديين، لأن سببًا محدودًا لا يمكن أن يُنتج نتيجة لا نهائية. إن الاختلافات في الحالات الفردية واسعة جدًا لدرجة أن تقديم أرقام فعلية يُعدّ مضللًا بعض الشيء. فإذا أخذنا رجلًا عاديًا مما يُسمى بالطبقة المتوسطة الدنيا، وهو صاحب متجر صغير أو مساعد متجر، فإن متوسط عمره في العالم النجمي قد يبلغ حوالي أربعين عامًا، وحياته في

العالم العقلي حوالي مائتي عام. من ناحية أخرى، قد يعيش رجل الروحانية والثقافة عشرين عامًا في العالم النجمي وألف عام في الحياة السماوية. أما من تم تطويره خصيصًا فقد يختصر الحياة النجمية إلى بضعة أيام أو ساعات ويقضي ألفًا وخمسمائة عام في الجنة.

لا يختلف طول هذه الفترات اختلافًا كبيرًا فحسب، بل تختلف الظروف في كلا العالمين اختلافًا كبيرًا أيضًا. فالمادة التي تُبنى منها جميع هذه الأجسام ليست مادة ميتة بل مادة حية، وهذه حقيقة يجب أخذها في الاعتبار. يتألف الجسد المادي من خلايا، كل منها حياة صغيرة منفصلة، يحركها الفيض الثاني، المنبثق من الجانب الثاني للإله. تتنوع هذه الخلايا وتؤدي وظائف متنوعة، ويجب أخذ جميع هذه الحقائق في الاعتبار إذا رغب الإنسان في فهم عمل جسده المادي وعيش حياة صحية فيه. وينطبق الأمر نفسه على الجسدين النجمي والعقلي. ففي الحياة الخلوية التي تتخللهما، لا يوجد بعد أي شيء من الذكاء، ولكن هناك غريزة قوية تدفع دائمًا نحو ما هو مُعدّ لتطورها. إن الحياة التي تُحيي المادة التي بُنيت منها هذه الأجسام تسير على مسار التطور الخارجي، متجهةً نحو الأسفل أو نحو الخارج داخل المادة، لذا فإن التقدم بالنسبة لها يعني النزول إلى أشكال أكثر كثافة من المادة، وتعلم التعبير عن نفسه من خلالها. أما التفتح بالنسبة للإنسان فهو عكس ذلك تمامًا؛ فقد غرق بالفعل في المادة، وهو الآن ينطلق منها نحو مصدره. وبالتالي، هناك صراع مصالح دائم بين الإنسان

43

الداخل والحياة التي تسكن مادة مركباته، بقدر ما تميل هي إلى الأسفل، بينما تميل هي إلى الأعلى.

ترغب مادة الجسم النجمي (أو بالأحرى الحياة التي تُنعش جزيئاته) في تطورها في أكبر قدر ممكن من التموجات، من مختلف الأنواع قدر الإمكان، وبأكثرها خشونة. ستكون الخطوة التالية في تطورها هي إضفاء الروح على المادة المادية والتعود على تذبذباتها الأبطأ؛ وكخطوة على الطريق إلى ذلك، ترغب في أشد الاهتزازات النجمية خشونة. ليس لديها الذكاء الكافي للتخطيط الدقيق لهذه الاهتزازات؛ لكن غريزتها تساعدها على اكتشاف أسهل طريقة للحصول عليها. تتغير جزيئات الجسم النجمي باستمرار، كما هو الحال مع جزيئات الجسم المادي، ومع ذلك، فإن الحياة في كتلة تلك الجزيئات النجمية لها إحساس، وإن كان غامضًا للغاية، بذاتها ككل - كنوع من الكيان المؤقت. إنها لا تدرك أنها جزء من الجسم النجمي للإنسان؛ إنها عاجزة تمامًا عن فهم ماهية الإنسان؛ لكنها تدرك بشكل أعمى أنها في ظل ظروفها الحالية تستقبل موجات أكثر بكثير، وموجات أقوى بكثير، مما تستقبله.

إذا كان يطفو في الجو، فلن يلتقط حينها إلا نادرًا، كما لو كان من بعيد، إشعاعات عواطف الإنسان وانفعالاته؛ أما الآن، فهو في صميمها، ولا يمكنه أن يفوتها، ويصيبها في أقوى حالاتها.

لذلك، يشعر بأنه في وضع جيد، ويبذل جهدًا للحفاظ على هذا الوضع. يجد نفسه على تماس مع شيء أدق منه - مادة الجسد العقلي للإنسان؛ ويصل إلى الشعور بأنه إذا استطاع أن يُشرك هذا الشيء الأدق في تموجاته، فستتكثف وتطول بشكل كبير.

بما أن المادة النجمية هي ناقل الرغبة، والمادة العقلية هي ناقل الفكر، فإن هذه الغريزة، عند ترجمتها إلى لغتنا، تعني أنه إذا استطاع الجسد النجمي أن يحثنا على الاعتقاد بأننا نريد ما يريده، فمن المرجح أن يحصل عليه. وهكذا يمارس ضغطًا بطيئًا ثابتًا على الإنسان - نوع من الجوع من جانبه، ولكنه بالنسبة له إغراء لما هو فظ وغير مرغوب فيه. إذا كان رجلاً عاطفيًا، فهناك ضغط لطيف ولكنه متواصل باتجاه الانفعال؛ وإذا كان رجلاً حسيًا، فهناك ضغط ثابت بنفس القدر باتجاه النجاسة.

ومن لا يفهم هذا عادةً ما يرتكب أحد خطأين فيما يتعلق به: إما أنه يفترض أنه حث من طبيعته، وبالتالي يعتبرها شريرة بطبيعتها، أو أنه يعتقد أن الضغط قادم من الخارج - كإغراء من شيطان وهمي. الحقيقة تكمن بين الاثنين. الضغط طبيعي، ليس للإنسان بل للوسيلة التي يستخدمها؛ رغبته طبيعية وصحيحة بالنسبة له، لكنها ضارة للإنسان، ولذلك من الضروري أن يقاومه. إذا قاوم، ورفض الاستسلام للمشاعر التي تُوحى إليه، فإن الجسيمات التي تحتاج إلى تلك الاهتزازات بداخله تُصبح خاملة لنقص التغذية، وفي النهاية تضمر وتتساقط من جسده النجمي، وتُستبدل بجسيمات أخرى، معدل موجتها الطبيعي أقرب إلى ما يسمح به الإنسان عادةً داخل جسده النجمي.

وهذا يُفسر ما يُسمى بدوافع الطبيعة الدنيا خلال الحياة. إذا استسلم الإنسان لها، فإن هذه الدوافع تزداد قوةً وقوةً حتى يشعر في النهاية بأنه لا يستطيع مقاومتها، فيتماهى معها - وهو بالضبط ما يريده هذا النصف العجيب من الحياة في جسيمات الجسد النجمي.

عند موت الجسد المادي، يُصاب هذا الوعي النجمي الغامض بالذعر. يُدرك أن وجوده ككتلة منفصلة مُهدد، فيتخذ خطوات غريزية للدفاع عن نفسه والحفاظ على مكانته لأطول فترة ممكنة. مادة الجسم النجمي أكثر سيولة بكثير من مادة الجسم المادي، وهذا الوعي يستحوذ على جزيئاته ويرتبها بحيث تقاوم التعدي. يضع أكثرها كثافةً وضخامةً على السطح الخارجي كنوع من القشرة، ويرتب البقية في طبقات متحدة المركز، بحيث يصبح الجسم ككل مقاومًا للاحتكاك قدر ما تسمح به بنيته، وبالتالي يحتفظ بشكله لأطول فترة ممكنة.

يؤدي هذا إلى آثار غير سارة مختلفة للإنسان. تختلف فسيولوجيا الجسم النجمي تمامًا عن فسيولوجيا الجسم المادي؛ إذ يكتسب الأخير معلوماته من الخارج عن طريق أعضاء معينة متخصصة كأدوات لحواسه، بينما لا يمتلك الجسم النجمي حواسًا منفصلة بمعناها الحديث. ما يقابل البصر بالنسبة للجسم النجمي هو قدرة جزيئاته على الاستجابة للصدمات الخارجية، التي تأتي إليه عن طريق جزيئات مماثلة. على سبيل المثال، يمتلك الإنسان داخل جسده النجمي مادة تنتمي إلى جميع أقسام العالم النجمي، ولهذا السبب يستطيع رؤية أشياء مصنوعة من مادة أيٍّ من هذه الأقسام. ولنفترض أن جسمًا نجميًا مصنوعًا من مادة القسمين الثاني والثالث مختلطين، فلن يتمكن الإنسان الذي يعيش في العالم النجمي من إدراكه إلا إذا وُجد على سطح جسمه النجمي جسيمات تنتمي إلى القسمين الثاني والثالث من ذلك العالم، قادرة على استقبال وتسجيل الاهتزازات التي يُنشئها هذا الجسم. الإنسان الذي لم يكن لديه على سطح تلك المركبة، بسبب ترتيب جسده، سوى المادة الأكثر كثافة من أدنى تقسيم فرعي، لا يمكنه أن يكون واعيًا بالشيء الذي ذكرناه أكثر مما نحن واعيون في الجسد المادي للغازات التي تدور حولنا في الغلاف الجوي أو للأشياء المصنوعة حصريًا من المادة الأثيرية.

خلال الحياة المادية، تكون مادة الجسد النجمي للإنسان في حركة مستمرة، وتتحرك جزيئاته فيما بينها كما تتحرك جزيئات الماء المغلي. وبالتالي، فمن المؤكد عمليًا في أي لحظة أن تكون الجزيئات من جميع الأنواع ممثلة على سطح جسده النجمي، وبالتالي عندما يستخدم جسده النجمي أثناء النوم، سيكون قادرًا على أن "يرى" بواسطتها أي جسم نجمي يقترب منه.

بعد الموت، إذا سمح بإعادة الترتيب (كما يفعل كل الناس العاديون عن جهل)، فستكون حالته من هذا المنظور مختلفة. بما أن على سطح جسده النجمي فقط أدنى الجسيمات وأكثرها كثافة، فإنه لا يتلقى انطباعات إلا من الجسيمات المقابلة في الخارج؛ لذا، فبدلاً من رؤية العالم النجمي بأكمله من حوله، سيرى سُبعه فقط، أي الأكثر كثافة وأقلها نقاءً. اهتزازات هذه المادة الثقيلة ليست سوى تعبيرات عن مشاعر وعواطف بغيضة، وعن أقل فئة من الكيانات النجمية رقيًا. لذلك، يتضح أن الإنسان في هذه الحالة لا يرى إلا سكان العالم النجمي غير المرغوب فيهم، ولا يشعر إلا بأكثر تأثيراته فظاظة وفظاظة.

إنه محاط بأشخاص آخرين، ربما تكون أجسادهم النجمية عادية تمامًا؛ ولكن بما أنه لا يرى ويشعر إلا بما هو أدنى وأغلظ فيهم، فإنهم يبدون له وحوشًا من الرذيلة بلا سماتٍ حميدة. حتى أصدقاؤه لا يبدون كما كانوا من قبل، لأنه الآن عاجز عن تقدير أيٍّ من صفاتهم الأفضل. في ظل هذه الظروف، لا عجب أنه يعتبر العالم النجمي جحيمًا؛ ومع ذلك، فالخطأ ليس في العالم النجمي بأي حال من الأحوال، بل في نفسه - أولًا، لأنه سمح لنفسه بدخول هذا القدر من ذلك النوع الأكثر خشونة من المادة، وثانيًا، لأنه سمح لذلك الوعي النجمي الغامض بالسيطرة عليه وتصرفه بهذه الطريقة الخاصة.

الرجل الذي درس هذه الأمور يرفض تمامًا الاستسلام للضغط أثناء الحياة أو السماح بإعادة الترتيب بعد الموت، وبالتالي يحتفظ بقدرته على رؤية العالم النجمي ككل، وليس فقط الجزء الأكثر خشونة ودناءة منه.

يشترك العالم النجمي مع العالم المادي في العديد من النقاط؛ تمامًا كما هو الحال في العالم المادي، فإنه يظهر مظاهر مختلفة لأشخاص مختلفين، وحتى لنفس الشخص في فترات مختلفة من حياته. إنه موطن العواطف والأفكار الدنيا؛ والعواطف أقوى بكثير في ذلك العالم منها في هذا العالم. عندما يكون الشخص مستيقظًا، لا يمكننا رؤية ذلك الجزء الأكبر من عاطفته على الإطلاق؛ وتكمن قوته في تحريك المادة المادية الخام للدماغ. لذا، إذا رأينا رجلاً يُظهر عاطفة هنا، فما يمكننا رؤيته ليس كل عاطفته، بل فقط الجزء المتبقي منها بعد كل هذا العمل الآخر. لذلك، تتراكم العواطف بشكل أكبر بكثير في الحياة النجمية منها في الحياة المادية. إنها لا تستبعد بأي حال من الأحوال الفكر الأعلى إذا تم التحكم فيها، لذلك في العالم النجمي كما في العالم المادي، قد يُكرس الإنسان نفسه للدراسة ومساعدة زملائه، أو قد يُضيع وقته ويتجول بلا هدف.

يمتد العالم النجمي تقريبًا إلى متوسط مسافة مدار القمر؛ ولكن مع أن هذا العالم بأكمله مفتوح لأيٍّ من سكانه الذين لم يسمحوا بإعادة توزيع مادتهم، فإن الغالبية العظمى منهم تبقى أقرب بكثير إلى سطح الأرض. تتداخل مادة الأقسام الفرعية المختلفة لهذا العالم بحرية تامة، ولكن هناك عمومًا ميل عام للمادة الأكثر كثافة للاستقرار نحو المركز. تشبه هذه الظروف إلى حد كبير تلك الموجودة في دلو من الماء يحتوي معلقًا على عدد من أنواع المادة بدرجات كثافة مختلفة. ولأن الماء يبقى في حركة دائمة، فإن أنواع المادة المختلفة تنتشر من خلاله؛ ولكن على الرغم من ذلك، توجد المادة الأكثر كثافة بكمية أكبر أقرب إلى القاع. لذلك، على الرغم من أنه لا يجب علينا أبدًا التفكير في الأقسام الفرعية المختلفة للعالم النجمي على أنها تقع فوق بعضها البعض كما تفعل أغلفة البصل، إلا أنه من الصحيح مع ذلك أن متوسط ترتيب مادة تلك الأقسام الفرعية يشترك إلى حد ما في هذه السمة العامة. تتداخل المادة النجمية مع المادة الفيزيائية تمامًا كما لو أنها غير موجودة، ولكن لكل قسم فرعي من المادة الفيزيائية انجذاب قوي للمادة النجمية من القسم الفرعي المقابل. ومن هنا، ينشأ أن لكل جسم مادي نظيره النجمي. إذا كان لديّ كوب ماء موضوع على طاولة، فإن الكوب والطاولة، لكونهما من مادة فيزيائية في الحالة الصلبة، يتداخلان مع المادة النجمية من القسم الفرعي الأدنى. الماء في الكوب، لكونه سائلًا، يتداخل مع ما يمكن أن نسميه السائل النجمي - أي المادة النجمية من القسم الفرعي السادس؛ بينما الهواء المحيط بكليهما، لكونهما مادة فيزيائية في الحالة الغازية، يتداخل تمامًا مع المادة الغازية النجمية - أي المادة النجمية من القسم الفرعي الخامس. ولكن كما أن الهواء والماء والزجاج والطاولة متداخلة دائمًا بالمادة الفيزيائية الدقيقة التي أسميناها

أثيرية، كذلك فإن جميع نظائرها النجمية متداخلة بالمادة النجمية الدقيقة للأقسام الفرعية العليا التي تتوافق مع الأثيرية. ولكن حتى المادة النجمية الصلبة أقل كثافة من أجود الأثيرات الفيزيائية.

الرجل الذي من يجد نفسه في العالم النجمي بعد الموت، إن لم يخضع لإعادة ترتيب مادة جسده، فلن يلاحظ إلا فرقًا طفيفًا عن الحياة المادية. يمكنه أن يطوف في أي اتجاه يشاء، لكنه في الواقع عادةً ما يبقى في الحي الذي اعتاده. لا يزال قادرًا على إدراك منزله، غرفته، أثاثه، أقاربه، أصدقائه. الأحياء، عندما يجهلون العوالم العليا، يظنون أنهم "فقدوا" من تخلى عن أجسادهم المادية؛ أما الموتى فلا يخالجهم أبدًا أي شعور بأنهم فقدوا الأحياء.

وبما أنهم في الجسد النجمي، لا يعود بإمكان الموتى رؤية الأجساد المادية لمن تركوهم؛ لكنهم يرون أجسادهم النجمية، ولأنها مطابقة تمامًا للجسد المادي في شكلها، فهم يدركون تمامًا وجود أصدقائهم. يرون كل واحد منهم محاطًا بضباب بيضاوي خافت من الضوء، وإذا كانوا مراقبين، فقد يلاحظون تغييرات صغيرة أخرى في محيطهم؛ ولكن من الواضح لهم تمامًا أنهم لم يذهبوا إلى جنة أو جحيم بعيدين، بل ما زالوا على اتصال بالعالم الذي يعرفونه، على الرغم من أنهم يرون ذلك من زاوية مختلفة نوعًا ما.

يبدو أن الجسد النجمي لصديقه الحي أمام الميت بوضوح، لذلك لا يمكنه أن يفكر فيه على أنه ضائع؛ ولكن بينما يكون الصديق مستيقظًا، لن يتمكن الميت من ترك أي انطباع عليه، لأن وعي الصديق يكون حينها في العالم المادي، وجسده النجمي يُستخدم فقط كجسر. لذلك، لا يستطيع الميت التواصل مع صديقه، ولا يمكنه قراءة أفكار صديقه العليا؛ لكنه سيرى من خلال تغير لون الجسم النجمي أي عاطفة قد يشعر بها ذلك الصديق، وبقليل من الممارسة والملاحظة، قد يتعلم بسهولة قراءة كل أفكار صديقه التي تحمل في طياتها شيئًا من الذات أو الرغبة.

عندما ينام الصديق، يتغير الوضع تمامًا. عندها يكون واعيًا أيضًا في العالم النجمي جنبًا إلى جنب مع الميت، ويمكنهما التواصل بكل حرية كما كانا في الحياة المادية. تنعكس العواطف التي يشعر بها الأحياء بشدة على الموتى الذين يحبونهم. إذا استسلم الأولون للحزن، فلا بد أن يعاني الأخيرون بشدة.

ظروف الحياة بعد الموت تكاد تكون لا نهائية في تنوعها، ولكن يمكن لأي شخص يبذل عناء فهم العالم النجمي والنظر في شخصية الشخص المعني أن يحسبها بسهولة. تلك الشخصية لا تتغير بأي درجة بالموت؛ فأفكار الرجل ومشاعره ورغباته هي نفسها تمامًا كما كانت من قبل. إنه في كل شيء هو نفس الرجل، باستثناء جسده المادي. وتعتمد سعادته أو بؤسه على مدى تأثير فقدان الجسد المادي عليه.

إذا كانت رغباته تتطلب جسدًا ماديًا لإشباعها، فمن المرجح أن يعاني معاناة شديدة. تتجلى هذه الرغبة الشديدة كاهتزاز في الجسد النجمي، وبينما لا نزال في هذا العالم، تُستخدم معظم قوتها في تحريك الجسيمات المادية الثقيلة. لذا، فإن الرغبة قوة أعظم بكثير في الحياة النجمية منها في الحياة المادية، وإذا لم يكن الإنسان معتادًا على التحكم فيها، وإذا لم يكن من الممكن إشباعها في هذه الحياة الجديدة، فقد تسبب له مشاكل كبيرة وطويلة الأمد.

49

خذ كمثال على ذلك الحالة المتطرفة للسكير أو الشهواني.

هنا لدينا شهوة كانت قوية بما يكفي خلال الحياة الجسدية للتغلب على العقل والحس السليم وجميع مشاعر الحشمة والمودة العائلية. بعد الموت، يجد الإنسان نفسه في العالم النجمي، يشعر بشهية ربما أقوى بمئة مرة، ومع ذلك يعجز تمامًا عن إشباعها لأنه فقد الجسد المادي. حياة كهذه جحيم حقيقي - الجحيم الوحيد الموجود؛ ومع ذلك لا أحد يعاقبه؛ إنه يجني النتيجة الطبيعية تمامًا لأفعاله.

مع مرور الوقت، تتلاشى قوة الرغبة هذه تدريجيًا، ولكن فقط على حساب معاناة رهيبة للإنسان، لأن كل يوم يبدو له كألف عام. ليس لديه مقياس للوقت كما لدينا في العالم المادي. لا يمكنه قياسه إلا بأحاسيسه. من تحريف هذه الحقيقة، جاءت فكرة اللعنة الأبدية التجديفية.

ستظهر حالات أخرى أقل تطرفًا من هذا بسهولة، حيث قد يثبت الشوق الذي لا يتحقق أنه عذاب. الحالة الأكثر شيوعًا هي حالة رجل ليس لديه رذائل معينة، مثل الخمر أو الشهوانية، ولكنه مع ذلك متعلق تمامًا بأمور العالم المادي، ويعيش حياة مكرسة للعمل أو للأنشطة الاجتماعية العبثية. بالنسبة له، العالم النجمي هو مكان للتعب؛ الشيء الوحيد الذي يتوق إليه لم يعد ممكنًا بالنسبة له، لأنه في العالم النجمي لا يوجد عمل يمكن القيام به، وعلى الرغم من أنه قد يكون لديه ما يكفي من الرفقة كما يشاء، إلا أن المجتمع أصبح الآن بالنسبة له مكانًا صعبًا للغاية.

مادة مختلفة، لأن كل الادعاءات التي تُبنى عليها عادةً في هذا العالم لم تعد ممكنة.

ومع ذلك، فهذه الحالات قليلة، وبالنسبة لمعظم الناس، تكون حالة ما بعد الموت أسعد بكثير من الحياة على الأرض. أول شعور يشعر به الميت عادةً هو أحد أروع وألذ أنواع الحرية. ليس لديه ما يقلق بشأنه على الإطلاق، ولا تقع عليه أي واجبات، باستثناء تلك التي يختار فرضها على نفسه. بالنسبة للجميع، باستثناء أقلية ضئيلة جدًا، تُقضى الحياة الجسدية في فعل ما يفضل الإنسان عدم فعله؛ ولكن عليه أن يفعل ذلك لإعالة نفسه أو زوجته وعائلته. في العالم النجمي، لا حاجة للدعم؛ لم تعد هناك حاجة للطعام، ولا للمأوى، لأنه لا يتأثر إطلاقًا بالحر أو البرد؛

وكل إنسان بمجرد ممارسة تفكيره يلبس ما يشاء. لأول مرة منذ أوائل الخمسينيات من عمره، أصبح الرجل حرًا تمامًا في قضاء وقته كله في فعل ما يحلو له تمامًا. تتعزز قدرته على الاستمتاع بجميع أنواع المتعة بشكل كبير، لو لم تكن هذه المتعة بحاجة إلى جسد مادي للتعبير عنها. إذا أحب جمال الطبيعة، أصبح بمقدوره الآن أن يجوب العالم أجمع بسرعة كبيرة ودون تعب، وأن يتأمل أجمل بقاعه، وأن يستكشف خباياه الخفية. إذا كان يتلذذ بالفن، فإن جميع روائع العالم في متناول يده. إذا أحب الموسيقى، فسيذهب إلى أي مكان يشاء ليسمعها، وستعني له الآن أكثر بكثير مما كانت تعنيه له من قبل؛ فرغم أنه لم يعد يسمع الأصوات المادية، إلا أنه يستطيع استيعاب تأثير الموسيقى بالكامل في نفسه بقدر أكبر بكثير مما كان عليه في هذا العالم السفلي. إذا كان طالب علم، فلن يقتصر دوره على زيارة كبار علماء العالم، واستخلاص ما يتسع له فهمه من أفكار وخواطر، بل سيتمكن أيضًا من إجراء أبحاثه الخاصة في علوم هذا العالم الأعلى، مدركًا ما يفعله أكثر بكثير مما كان متاحًا له من قبل. والأفضل من ذلك كله، أن من كانت سعادته الكبرى في هذا العالم مساعدة إخوانه البشر، سيجد مجالًا واسعًا لجهوده الخيرية. لم يعد البشر جائعين أو بردًا أو مرضى في هذا العالم النجمي؛ لكن هناك أعدادًا هائلة ممن، لجهلهم، يرغبون في المعرفة - ممن لا يزالون في قبضة الرغبة في الأشياء الدنيوية، يحتاجون إلى تفسير ينقل تفكيرهم إلى مستويات أعلى - ممن وقعوا في فخ خيالاتهم، ولا يمكن تحريرهم إلا من يفهم هذه البيئة الجديدة، ويساعدهم على التمييز بين حقائق العالم وتزييفهم الجاهل لها. كل هذا يمكن أن يُساعد عليه الإنسان الذكي وطيب القلب. كثير من الناس يصلون إلى العالم النجمي جاهلين تمامًا بأحواله، غير مدركين في البداية أنهم أموات، وعندما يدركون ذلك يخشون المصير الذي قد ينتظرهم، بسبب التعاليم اللاهوتية الزائفة والفاسدة. كل هؤلاء يحتاجون إلى البهجة والراحة التي لا يمكن أن يمنحها لهم إلا رجل سليم العقل يمتلك بعض المعرفة بحقائق الطبيعة.

وهكذا، لا ينقص أي إنسان كانت اهتماماته خلال حياته المادية عقلانية العمل الأكثر ربحًا؛ ولا ينقصه الرفقة. فالرجال الذين تتشابه أذواقهم واهتماماتهم

51

ينجرفون معًا بشكل طبيعي هناك تمامًا كما يفعلون هنا؛ والعديد من عوالم الطبيعة، التي كانت خلال حياتنا المادية مخفية بحجاب كثيف من المادة، أصبحت الآن مفتوحة للدراسة الدقيقة لمن يهتم بدراستها.

إلى حد كبير، يصنع الناس محيطهم الخاص. لقد أشرنا سابقًا إلى الأقسام الفرعية السبعة لهذا العالم النجمي. وبترقيمها من الأعلى والأقل ماديةً نزولًا، نجد أنها تنقسم طبيعيًا إلى ثلاث فئات: الأقسام الأول والثاني والثالث تُشكل فئةً واحدةً، والأربعة والخامسة والسادسة تُشكل فئةً

أخرى؛ بينما القسم السابع والأدنى يبقى منفردًا. وكما ذكرتُ، فرغم تداخلها جميعًا، إلا أن جوهرها يميل عمومًا إلى ترتيب نفسه وفقًا لجاذبيته النوعية، بحيث توجد معظم المادة التي تنتمي إلى الأقسام الفرعية العليا على ارتفاعٍ أعلى من سطح الأرض مقارنةً بجزءٍ كبيرٍ من مادة الأجزاء السفلية.

ومن ثم، فمع أن أي شخصٍ يسكن العالم النجمي يستطيع الانتقال إلى أي جزءٍ منه، إلا أن ميله الطبيعي هو أن يطفو عند المستوى الذي يُقابل الجاذبية النوعية لأثقل مادة في جسده النجمي. ومن لم يسمح بإعادة ترتيب مادة جسده النجمي بعد الموت، يكون متحررًا تمامًا من العالم النجمي بأكمله. لكن الأغلبية، التي تسمح بذلك، ليست متساوية في الحرية - ليس لأن هناك ما يمنعها من الصعود إلى أعلى مستوى أو الهبوط إلى أدنى مستوى، بل لأنها لا تستطيع أن تشعر بوضوح إلا بجزء معين من ذلك العالم.

لقد وصفتُ شيئًا عن مصير رجل في أدنى مستوى، محصورًا في عالمٍ من العدم.

قشرة صلبة من مادة خشنة. وبسبب الكثافة النسبية الشديدة لتلك المادة، فإنه يدرك ما هو خارج نطاقه الخاص أقل مما يدركه إنسان في أي مستوى آخر. تميل الجاذبية النوعية العامة لجسمه النجمي إلى جعله يطفو تحت سطح الأرض. مادة الأرض المادية معدومة تمامًا بالنسبة لحواسه النجمية، وينجذب طبيعيًا إلى ذلك الشكل الأقل حساسية من المادة النجمية، وهو نظير تلك الأرض الصلبة. لذلك، فإن الإنسان الذي حصر نفسه في ذلك المستوى الأدنى سيجد نفسه عادةً يطفو في الظلام، ومنعزلًا إلى حد كبير عن الآخرين من الموتى، الذين كانت حياتهم من النوع الذي يبقيهم في مستوى أعلى.

52

تستند الأقسام الرابع والخامس والسادس من العالم النجمي (التي ينجذب إليها معظم الناس) إلى النظير النجمي للعالم المادي الذي نعيش فيه، وجميع ملحقاته المألوفة. الحياة في القسم السادس تشبه حياتنا العادية على هذه الأرض، منزوعة الجسد المادي وضرورياته، بينما تنحدر عبر القسمين الخامس والرابع، فتصبح أقل مادية، وأكثر عزلة عن عالمنا السفلي ومصالحه.

ومع أن الأقسام الأولى والثانية والثالثة تشغل نفس المساحة، إلا أنها تعطي انطباعًا بأنها أبعد بكثير عن العالم المادي، وبالتالي أقل مادية. يغيب عن بال من يسكنون هذه المستويات الأرض وممتلكاتها؛ فهم عادةً ما يكونون منغمسين في ذواتهم، ويخلقون إلى حد كبير محيطهم الخاص، مع أن هذه المحيطات موضوعية بما يكفي ليدركها غيرهم من نفس مستواهم، وكذلك للرؤية البصيرة.

هذه المنطقة هي أرض الصيف التي نسمع عنها في الأوساط الروحانية - العالم الذي فيه، بممارسة تفكيرهم، يستدعي الموتى إلى الوجود المؤقت منازلهم ومدارسهم ومدنهم. هذه البيئات، وإن بدت خيالية من وجهة نظرنا، إلا أنها بالنسبة للأموات حقيقية كما هي البيوت والمعابد والكنائس المبنية من الحجر بالنسبة لنا، ويعيش كثير من الناس فيها راضين قانعين لسنوات عديدة وسط كل هذه الإبداعات الفكرية. بعض المناظر الطبيعية الناتجة بهذه الطريقة بديعة الجمال؛ فهي تشمل بحيرات خلابة، وجبالاً مهيبة، وحدائق زهور خلابة، تتفوق بلا شك على أي شيء في العالم المادي؛ مع أنها، من ناحية أخرى، تحتوي أيضًا على الكثير مما يبدو سخيفًا للعراف المتمرس (الذي تعلم رؤية الأشياء كما هي) - مثل مساعي غير المتعلمين لتكوين صورة فكرية لبعض الأوصاف الرمزية الغريبة الواردة في كتبهم المقدسة المختلفة. إن صورة الفلاح الجاهل الفكرية لحيوان مليء بالعيون من الداخل، أو لبحر من الزجاج الممزوج بالنار، غالبًا ما تكون غريبة الأطوار، مع أنها مُرضية تمامًا لصانعها. هذا العالم النجمي مليءٌ بشخصياتٍ ومناظرَ طبيعيةٍ من صنع الفكر. يتخيل رجالُ جميع الأديان هنا آلهتهم ومفاهيمهم الخاصة عن الجنة، ويستمتعون كثيرًا بين هذه الأشكال الحلمية حتى ينتقلوا إلى العالم العقلي ويلمسوا شيئًا أقرب إلى الواقع.

53

على كلِّ شخصٍ بعد الموت - أي شخصٍ عادي، أي الذي أُعيد ترتيب مادة جسده النجمي - أن يمرَّ عبر جميع هذه الأقسام الفرعية بالتناوب. لا يعني هذا أن كلَّ شخصٍ يكون واعيًا بها جميعًا. فالشخصُ العاديُّ العاديُّ لا يملك في جسده النجمي إلا القليلَ من مادة الجزء السفلي منه - أي ما يكفي لبناء هيكلٍ ثقيل. تُضيف إعادة التوزيع على سطح الجسد المادةَ الأكثر كثافةً؛ أما لدى الإنسان العادي، فعادةً ما تكون هذه المادة من القسم السادس، ممزوجةً بقليلٍ من القسم السابع، وهكذا يجد نفسه يرى نظيرَ العالم المادي. الأنا ينسحب بثبات إلى ذاته، وبينما ينسحب، يخلف وراءه مستوى تلو الآخر من هذه المادة النجمية. لذا، فإن مدة احتجاز الإنسان في أي جزء من العالم النجمي تتناسب تمامًا مع كمية مادته الموجودة في جسده النجمي، وهذا بدوره يعتمد على الحياة التي عاشها، والرغبات التي أشبعها، ونوع المادة التي جذبها إليه ودمجها في ذاته. وإذ يجد نفسه في الجزء السادس، لا يزال يحوم حول الأماكن والأشخاص الذين كان على اتصال وثيق بهم على الأرض، يجد الإنسان العادي، مع مرور الوقت، أن محيطه الأرضي يزداد قتامة تدريجيًا ويقل أهميته بالنسبة له، ويميل أكثر فأكثر إلى تشكيل محيطه بما يتوافق مع أفكاره الأكثر إلحاحًا. وبحلول الوقت الذي يصل فيه إلى المستوى الثالث، يجد أن هذه السمة قد حلت محل رؤية حقائق العالم النجمي تمامًا. أما القسم الثاني فهو أقل مادية من الثالث، لأنه إذا كان الأخير هو أرض الصيف للروحانيين، فإن الأول هو الجنة المادية للأرثوذكسيين الأكثر جهلاً؛ بينما يبدو أن المستوى الأول أو الأعلى هو موطنٌ خاصٌ لأولئك

الذين كرّسوا أنفسهم طوال حياتهم للمساعي المادية والفكرية، لا سعيًا وراء منفعة إخوانهم، بل إما بدافع الطموح الأناني أو لمجرد التمرين الفكري. جميع هؤلاء الناس في غاية السعادة. لاحقًا، سيصلون إلى مرحلةٍ يُمكنهم فيها تقدير شيءٍ أسمى بكثير، وعندما تصل تلك المرحلة، سيجدون ما هو أعلى مُستعدًّا لهم.

في هذه الحياة النجمية، يميل أبناء الأمة الواحدة والمصالح نفسها إلى البقاء معًا، تمامًا كما يفعلون هنا. فالمتدينون، على سبيل المثال، الذين يتخيلون لأنفسهم جنةً مادية، لا يتدخلون إطلاقًا في شؤون أصحاب الديانات الأخرى الذين تختلف أفكارهم عن السعادة السماوية. لا شيء يمنع المسيحي من الانجراف إلى جنة الهندوس أو المسلمين، ولكنه نادرًا ما يفعل ذلك، لأن اهتماماته وجاذبيته كلها في جنة إيمانه، إلى جانب أصدقائه الذين شاركوه هذا الإيمان. هذه ليست الجنة الحقيقية التي وصفتها أيٌّ من الأديان، بل هي مجرد تحريفٍ فادحٍ وماديٍّ لها؛ سنكتشف الحقيقة عندما نتناول العالم العقلي.

الميت الذي لم يسمح بإعادة ترتيب مادة جسده النجمي يكون حرًّا من العالم بأسره، ويمكنه التجول فيه كما يشاء، ويرى كل ما يفحصه، بدلًا من أن يرى جزءًا منه فقط كما يفعل الآخرون. لا يجده مزدحمًا بشكلٍ مزعج، لأن العالم النجمي أكبر بكثير من سطح الأرض المادية، بينما سكانه أقل نوعًا ما، لأن متوسط عمر البشرية في العالم النجمي أقصر منه في العالم المادي.

ومع ذلك، ليس الموتى وحدهم سكان هذا العالم النجمي، بل حوالي ثلث الأحياء أيضًا، الذين تركوا أجسادهم المادية مؤقتًا في نومهم. يضم العالم النجمي أيضًا عددًا كبيرًا من الكائنات غير البشرية، بعضها أدنى بكثير من مستوى الإنسان، وبعضها أعلى منه بكثير. تُشكل أرواح الطبيعة مملكةً هائلة، يعيش بعض أعضائها في العالم النجمي، ويشكلون جزءًا كبيرًا من سكانها. توجد هذه المملكة الشاسعة أيضًا في العالم المادي، حيث يرتدي العديد من أفرادها أجسادًا أثيرية، وهم بالكاد خارج نطاق الرؤية المادية العادية. في الواقع، نادرًا ما تحدث ظروف يُمكن من خلالها رؤيتهم، وفي العديد من المناطق الجبلية النائية، تُعتبر هذه المظاهر تقليدية بين الفلاحين، حيث يُطلق عليهم عادةً اسم الجنيات، أو الأشخاص الطيبين، أو الجنيات، أو البراونيز.

إنهم متغيرو الأطوار، لكنهم عادةً ما يفضلون ارتداء شكل بشري مصغر.

ولأنهم لم يُصبحوا أفرادًا بعد، فقد يُنظر إليهم كحيوانات أثيرية ونجمية تقريبًا؛ ومع ذلك، فإن العديد منهم مساوون فكريًا تمامًا للبشر العاديين. لهم شعوبهم وأنواعهم كما لدينا، وغالبًا ما يُصنفون إلى أربع فئات كبرى، تُسمى أرواح الأرض والماء والنار والهواء. يقتصر ظهورهم عادةً على العالم النجمي، إلا أن أعدادهم هائلة لدرجة أنهم موجودون في كل مكان فيه.

هناك مملكة عظيمة أخرى لها ممثلوها هنا - مملكة الملائكة (وتُسمى في الهند الديفاس). هذه مجموعة من الكائنات التي تقف في مستوى تطور أعلى بكثير من الإنسان، ولا يلمس العالم النجمي إلا أدنى فئة من رعاياها - وهي فئة ربما يكون أعضاؤها في مستوى تطور ما يُمكن أن نسميه إنسانًا صالحًا تمامًا.

لسنا السكان الوحيدين ولا حتى الرئيسيين لنظامنا الشمسي؛ فهناك خطوط تطور أخرى تسير بالتوازي مع خطنا، لا تمر عبر البشرية إطلاقًا، مع أنها جميعًا تمر عبر مستوى يُقابل مستوى البشرية. على أحد هذه الخطوط التطورية الأخرى، توجد أرواح الطبيعة الموصوفة أعلاه، وفي مستوى أعلى من هذا الخط تأتي مملكة الملائكة العظيمة هذه. في مستوانا الحالي من التطور، نادرًا ما يتواصلون معنا بوضوح، ولكن مع تطورنا، من المرجح أن نراهم أكثر فأكثر - خاصة وأن التقدم الدوري للعالم يجعله الآن أكثر فأكثر تحت تأثير الشعاع السابع. يتميز هذا الشعاع السابع بالطقوس كإحدى خصائصه، ومن خلال طقوس مثل طقوس الكنيسة أو الماسونية، نتواصل بسهولة أكبر مع مملكة الملائكة.

عندما تتلاشى جميع مشاعر الإنسان الدنيا - أعني جميع المشاعر التي تحمل في طياتها أي فكرة عن الذات - تنتهي حياته في العالم النجمي، وتنتقل الأنا إلى العالم العقلي. هذا ليس بأي حال من الأحوال حركة في الفضاء؛ ببساطة، عملية الانسحاب المتواصلة قد تجاوزت حتى أرقى أنواع المادة النجمية؛ بحيث أصبح وعي الإنسان مُركّزًا في العالم العقلي. لم يتحلل جسده النجمي تمامًا، مع أنه في طور التحلل، ويترك وراءه جثة نجمية، تمامًا كما في في مرحلة سابقة من الانسحاب، ترك وراءه جثةً مادية.

هناك فرقٌ معينٌ بين الاثنين يجب ملاحظته، نظرًا للعواقب المترتبة عليه.

عندما يترك الإنسان جسده المادي، ينبغي أن يكون انفصاله عنه كاملًا، وهو كذلك عادةً؛ لكن هذا ليس هو الحال مع مادة الجسم النجمي، وهي مادة أدق بكثير. ففي سياق حياته الجسدية، عادةً ما ينغمس الإنسان العادي في المادة النجمية (وهو ما يعني، من وجهة نظر أخرى، أنه يتماهى مع رغباته الدنيا) لدرجة أن قوة الأنا المنسحبة لا تستطيع فصله عنها تمامًا. وبالتالي، عندما ينفصل أخيرًا عن الجسم النجمي وينقل أنشطته إلى العقل، فإنه يفقد القليل من نفسه، ويترك بعضًا منها سجينًا في مادة الجسم النجمي.

هذا يُعطي الجثة النجمية بقايا من الحيوية، بحيث تظل تتحرك بحرية في العالم النجمي، وقد يخطئ الجاهل في اعتبارها الإنسان نفسه، لا سيما وأن هذا الوعي المُجزأ الذي لا يزال باقيًا فيها يُعد جزءًا من الإنسان، ولذلك فهي تعتبر نفسها، بطبيعة الحال، وتتحدث عن نفسها على أنها الإنسان. إنها تحتفظ بذكرياته، لكنها ليست سوى تمثيل جزئي وغير مُرضٍ له.

أحيانًا، في جلسات استحضار الأرواح، يتواصل المرء مع كيان من هذا النوع، ويتساءل كيف تدهور صديقه إلى هذا الحد منذ وفاته. نطلق على هذا الكيان المُجزأ اسم "الظل."

في مرحلة لاحقة، حتى هذا الجزء من الوعي ينقرض من الجسد النجمي، لكنه لا يعود إلى الأنا التي كان ينتمي إليها في الأصل. حتى في هذه الحالة، تبقى الجثة النجمية، ولكن عندما تكون خالية تمامًا من أي أثر لحياتها السابقة، نُسميها "صدفة". لا تستطيع القشرة بحد ذاتها التواصل في جلسة استحضار أرواح، أو القيام بأي فعل من أي نوع؛ ولكن غالبًا ما تستولي أرواح الطبيعة المرحة على هذه القشرة وتستخدمها كمساكن مؤقتة. يمكن للقشرة المشغولة بهذا الشكل التواصل في جلسة استحضار أرواح والتنكر في هيئة مالكها الأصلي، حيث يمكن لروح الطبيعة استحضار بعض خصائصه وأجزاء معينة من ذاكرته من جثته النجمية.

عندما ينام الإنسان، ينسحب إلى جسده النجمي، تاركًا وراءه كامل المركبة المادية. وعندما يموت، يسحب معه الجزء الأثيري من الجسد المادي، وبالتالي عادةً ما يكون لديه لحظة على الأقل من اللاوعي أثناء تحرره منه. إن الشبيه الأثيري ليس مركبة ولا يمكن استخدامه على هذا النحو؛

لذلك عندما يكون الإنسان محاطًا به، فإنه لا يستطيع في الوقت الحالي العمل لا في العالم المادي ولا في العالم النجمي. ينجح بعض البشر في التحرر من هذا الغلاف الأثيري في لحظات، بينما يستريح آخرون فيه لساعات أو أيام أو حتى أسابيع.

57

وليس من المؤكد أنه عندما يتحرر الإنسان من هذا، سيُدرك العالم النجمي فورًا. إذ يحتوي بداخله على قدر كبير من أدنى أنواع المادة النجمية، بحيث يُمكن تكوين غلاف منها حوله. لكنه قد يعجز تمامًا عن استخدام تلك المادة. فإذا عاش حياة كريمة إلى حد معقول، فإنه قليل العود على استخدامها أو الاستجابة لاهتزازاتها، ولا يستطيع اكتساب هذه العادة فورًا.

لهذا السبب، قد يظل فاقدًا للوعي حتى تتلاشى تلك المادة تدريجيًا، وتظهر مادة اعتاد استخدامها على السطح. ومع ذلك، نادرًا ما يكتمل هذا الانسداد، لأنه حتى في أكثر الغلافات المصنوعة بعناية، تجد بعض جزيئات المادة الدقيقة طريقها إلى السطح أحيانًا، وتمنحه لمحات عابرة عما يحيط به. هناك من يتمسك بشدة بمركباته المادية، لدرجة أنهم لا يخففون قبضتهم على الشبيه الأثيري، بل يسعون بكل ما أوتوا من قوة للاحتفاظ به. قد ينجحون في ذلك لفترة طويلة، ولكن فقط على حساب إزعاج كبير لأنفسهم. إنهم منعزلون عن العالمين، ويجدون أنفسهم محاطين بضباب رمادي كثيف، يرون من خلاله أشياء العالم المادي بشكل غامض للغاية، ولكن كل لون قد اختفى منها. إنه صراع رهيب بالنسبة لهم للحفاظ على وضعهم في

هذه الحالة البائسة، ومع ذلك لن يخففوا قبضتهم على الشبيه الأثيري، شاعرين أنه على الأقل نوع من الصلة بالعالم الوحيد الذي يعرفونه. وهكذا، ينجرفون في حالة من الوحدة والبؤس حتى يخذلونهم من التعب الشديد، وينزلقون إلى سعادة نسبية للحياة النجمية. أحيانًا، في يأسهم، يتمسكون بأجساد أخرى دون وعي، ويحاولون الدخول إليها، وأحيانًا ينجحون في ذلك. قد يتمسكون بجسد رضيع، مُطيحين بالشخصية الضعيفة التي خُلقت من أجلها، أو أحيانًا يتمسكون حتى بجسد حيوان. كل هذه المشاكل تنبع كليًا من الجهل، ولا يُمكن أن تحدث لأي شخص يفهم قوانين الحياة والموت. عندما تنتهي الحياة النجمية، يموت الإنسان.

ينتقل بدوره إلى ذلك العالم، ويستيقظ في العالم العقلي. ليس الأمر عنده كما هو عند العراف المُدرّب، الذي يجوبه ويعيش في بيئته التي يجدها هناك، تمامًا كما يفعل في العالمين المادي والنجمي. لقد أحاط الإنسان العادي نفسه طوال حياته بمجموعة من أشكال الفكر. بعضها زائل، لا يُعرها اهتمامًا يُذكر، وقد تلاشى عنه منذ زمن بعيد، لكن تلك التي تُمثل اهتماماته الرئيسية تبقى معه دائمًا، وتزداد قوةً وقوةً. إذا كان بعضها أنانيًا، فإن قوته تتدفق إلى المادة النجمية، وقد استنفدها خلال حياته في العالم النجمي. أما تلك التي لا أنانية تمامًا فتنتمي إلى جسده العقلي بحتة، ولذلك عندما يجد نفسه في العالم العقلي، فإنه من خلال هذه الأفكار الخاصة يتمكن من تقديرها. جسده العقلي ليس مكتمل النمو بأي حال من الأحوال؛ فقط تلك الأجزاء منه تعمل بأقصى طاقتها التي استخدمها بهذه الطريقة الإيثارية. عندما يستيقظ مرة أخرى بعد الموت الثاني، تكون حاسة النعيم والحيوية الأولى لديه لا توصف - شعور بفرحة غامرة في الحياة لدرجة أنه لا يحتاج في ذلك الوقت إلا إلى مجرد العيش. هذه النعيم هو جوهر الحياة في جميع عوالم النظام العليا. حتى الحياة النجمية لديها إمكانيات سعادة تفوق بكثير أي شيء يمكننا معرفته في الجسد الكثيف؛ لكن الحياة السماوية في العالم العقلي أكثر سعادة بكثير من الحياة النجمية. في كل عالم أعلى، تتكرر التجربة نفسها. يبدو مجرد العيش في أي منها أقصى نعيم يمكن تصوره؛ ومع ذلك، عندما يصل إلى التالي، يُرى أنه يفوق الأخير بكثير. وكما تزداد النعيم، تزداد الحكمة واتساع الأفق. ينشغل الإنسان في العالم المادي ويظن نفسه مشغولاً وحكيماً؛ ولكن حتى عندما يلمس العالم النجمي، يدرك فوراً أنه لم يكن طوال الوقت سوى يرقة تزحف ولا ترى شيئاً سوى ورقتها، بينما الآن قد بسط جناحيه كالفراشة وحلّق بعيداً في ضوء شمس عالم أوسع. ومع ذلك، ومهما بدا الأمر مستحيلاً، تتكرر التجربة نفسها عندما ينتقل إلى العالم العقلي، لأن هذه الحياة بدورها أكمل وأوسع وأكثر كثافة من العالم النجمي بحيث لا مجال للمقارنة مرة أخرى. ومع ذلك، وراء كل هذا، لا تزال هناك حياة أخرى، هي حياة الحدس، التي لا يكون فيها هذا إلا كضوء القمر بالنسبة لضوء الشمس.

يختلف وضع الإنسان في العالم العقلي اختلافاً كبيراً عن وضعه في العالم النجمي. هناك كان يستخدم جسداً اعتاد عليه تماماً، جسداً اعتاد استخدامه كل ليلة أثناء النوم. هنا يجد نفسه يعيش

في مركبة لم يستخدمها من قبل - مركبة أبعد ما تكون عن التطور الكامل - مركبة تعزله إلى حد كبير عن العالم من حوله، بدلاً من تمكينه من رؤيته. لقد احترق الجزء السفلي من طبيعته خلال حياته المطهرية، ولم يتبق له الآن سوى أفكاره الأسمى والأكثر رقيًا، والتطلعات النبيلة وغير الأنانية التي سكبها خلال حياته الأرضية. تتجمع هذه حوله، وتشكل نوعًا من القشرة حوله، من خلالها يتمكن من الاستجابة لأنواع معينة من الاهتزازات في هذه المادة النقية.

هذه الأفكار التي تحيط به هي القوى التي يستمد منها ثروة العالم السماوي، ويجدها مخزنًا لا نهائيًا، يمكنه أن يستمد منه وفقًا لقوة تلك الأفكار والتطلعات؛ لأن في هذا العالم يوجد الامتلاء اللانهائي للعقل الإلهي، مفتوحًا بكل ثرائه اللامحدود لكل نفس، تمامًا بقدر ما أهلت نفسها لتلقيه. الإنسان الذي أكمل تطوره البشري، الذي أدرك وكشف تمامًا عن الألوهية التي تكمن بذرتها في داخله، يجد هذا المجد كله في متناول يده؛ ولكن بما أن أحدًا منا لم يفعل ذلك بعد، وبما أننا نرتقي تدريجيًا نحو ذلك الكمال الباهر، فمن الطبيعي ألا يستطيع أحد منا بعد إدراك ذلك الكمال.

لكن كل واحد ينهل منه ويدرك منه بقدر ما أعدّ نفسه له بجهد سابق. يمتلك الأفراد المختلفون قدرات مختلفة جدًا؛ يُقال لنا في الشرق إن كل إنسان يحمل كأسه الخاص، وبعض الكؤوس كبير وبعضها صغير، ولكن صغيرًا كان أم كبيرًا، فكل كأس ممتلئ إلى أقصى سعته؛ بحر النعيم يحمل أكثر بكثير مما يكفي الجميع. لا يستطيع الإنسان أن يطل على كل هذا المجد والجمال إلا من خلال النوافذ التي صنعها بنفسه. كل شكل من أشكال الفكر هذه نافذة، تأتيه من خلالها استجابة من القوى الخارجية. إذا كان قد انشغل خلال حياته الأرضية بالأشياء المادية بشكل رئيسي، فإنه لم يصنع لنفسه سوى نوافذ قليلة يمكن أن يشرق عليها هذا المجد الأسمى. ومع ذلك، فإن كل إنسان فوق أدنى مستوى من الهمجية

لا بد أنه كان لديه لمسة من الشعور الخالص غير الأناني، حتى لو كان ذلك مرة واحدة في حياته كلها، وستكون تلك نافذة له الآن.

الإنسان العادي غير قادر على أي نشاط كبير في هذا العالم العقلي؛ حالته في الغالب متقبلة، ورؤيته لأي شيء خارج نطاق تفكيره محدودة للغاية. إنه محاط بقوى حية، سكان ملائكة أقوياء من هذا العالم المجيد، والعديد من رتبهم حساسة للغاية لتطلعات الإنسان معينة وتستجيب لها بسهولة. لكن لا يمكن للإنسان الاستفادة من هذه التطلعات إلا بقدر ما أعد نفسه للاستفادة منها، لأن أفكاره وتطلعاته تسير على خطوط معينة فقط، ولا يمكنه فجأة تشكيل خطوط جديدة. هناك العديد من الاتجاهات التي قد يتخذها الفكر الأعلى - بعضها شخصي وبعضها غير شخصي.

ومن بين هذه الاتجاهات الأخيرة الفن والموسيقى والفلسفة. والرجل الذي يقع اهتمامه على أيٍّ من هذه الخطوط يجد متعةً لا تُحصى وتعليمًا لا حدود له في انتظاره - أي أن مقدار المتعة والتعليم لا يحده إلا قدرته على الإدراك.

نجد عددًا كبيرًا من الناس الذين تقتصر أفكارهم العليا على تلك المرتبطة بالمودة والإخلاص. إذا أحب رجلٌ شخصًا آخر بعمق أو إذا شعر بإخلاص قوي لإله شخصي، فإنه يصنع صورة ذهنية قوية لذلك الصديق أو للإله، وغالبًا ما يكون موضوع شعوره حاضرًا في ذهنه. لا مفر من أن يأخذ تلك الصورة الذهنية معه إلى عالم السماء، لأنها تنتمي بطبيعة الحال إلى ذلك المستوى من المادة.

خذ أولاً حالة المودة. الحب الذي يشكل ويحافظ على مثل هذه الصورة هو قوة جبارة - قوة قوية بما يكفي للوصول إلى أنا صديقه والتأثير عليها في الجزء الأعلى من العالم العقلي. إن الأنا هي الإنسان الحقيقي الذي يحبه، وليس الجسد المادي الذي يُمثله تمثيلاً جزئياً. إن أنا الصديق، إذ تشعر بهذا الاهتزاز، تستجيب له فوراً وبشغف، وتنغمس في صورة الفكر التي خُلقت له؛ فيصبح صديقه حاضراً معه حقاً أكثر حيوية من أي وقت مضى. ولتحقيق هذه الغاية، لا فرق بين أن يكون الصديق حياً أو ميتاً؛ فالنداء لا يُوجَّه إلى جزء الصديق الذي يكون أحياناً سجيناً في جسد مادي، بل إلى الإنسان نفسه في مستواه الحقيقي؛ وهو يستجيب دائماً. فالإنسان الذي لديه مئة صديق يستطيع أن يستجيب في آنٍ واحد وبشكل كامل لمودة كل واحد منهم، لأنه لا يمكن لعدد من التمثيلات على مستوى أدنى أن يستنفد ما لا نهاية له من الأنا. وهكذا، فإن كل إنسان في حياته السماوية يجد حوله جميع الأصدقاء الذين يرغب في صحبتهم، وهم دائمًا في أفضل حالاتهم بالنسبة له، لأنه هو من يصنع لهم الصورة الفكرية التي يتجلى من خلالها. في عالمنا المادي المحدود، اعتدنا على اعتبار صديقنا مجرد تجلٍّ محدود نعرفه في العالم المادي، لدرجة أنه يصعب علينا في البداية إدراك عظمة هذا المفهوم؛ وعندما ندركه، سنرى كم نحن أقرب حقًا إلى أصدقائنا في الحياة السماوية مما كنا عليه على الأرض. وينطبق الأمر نفسه على التفاني. فالإنسان في عالم السماء أقرب بمرحلتين كبيرتين إلى موضوع تفانيه مما كان عليه في الحياة المادية، وبالتالي فإن تجاربه ذات طابع أكثر تساميًا.

في هذا العالم العقلي، كما في العالم النجمي، هناك سبعة أقسام فرعية. الأول والثاني والثالث هي موطن الأنا في جسده السببي، لذا فإن الجسد العقلي يحتوي على مادة الأربعة المتبقية فقط، وفي تلك الأقسام تنتقل حياته السماوية. ومع ذلك، لا ينتقل الإنسان من واحد إلى آخر منها، كما هو الحال في العالم النجمي، لأنه لا يوجد في هذه الحياة ما يقابل إعادة الترتيب. بل ينجذب الإنسان إلى المستوى الذي يتوافق بشكل أفضل مع درجة تطوره، وعلى هذا المستوى يقضي حياته كلها في الجسد العقلي. كل إنسان يصنع ظروفه الخاصة، بحيث يكون عدد الأنواع لا نهائيًا.

بشكل عام، يمكننا القول إن السمة السائدة التي تُلاحظ في الجزء الأدنى هي المودة العائلية غير الأنانية. يجب أن تكون غير أنانية، وإلا فلن تجد مكانًا لها هنا؛ كل مسحة أنانية، إن وجدت، عملت على نتائجها في العالم النجمي. يمكن القول إن السمة السائدة في المستوى السادس هي التدين المجسم؛ بينما القسم الخامس هو التفاني الذي يُعبّر عن نفسه في عملٍ فعّال. جميع هذه الأقسام الفرعية - الخامس والسادس والسابع - تُعنى بتجسيد التفاني للشخصيات (سواءً للعائلة والأصدقاء أو لإلهٍ شخصي) بدلًا من التفاني الأوسع للبشرية لذاتها، والذي نجد تعبيره في القسم التالي. أنشطة هذه المرحلة الرابعة متنوعة. ويمكن ترتيبها على أفضل وجه في أربعة أقسام رئيسية: السعي غير الأناني للمعرفة الروحية؛ الفلسفة العليا أو الفكر العلمي؛ والقدرة الأدبية أو الفنية التي تُمارس لأغراض غير أنانية؛ والخدمة من أجل الخدمة.

62

حتى في هذه الحياة السماوية المجيدة، تنتهي الحياة، ثم يزول الجسد العقلي بدوره كما سقط الآخرون، وتبدأ حياة الإنسان في جسده السببي. هنا لا يحتاج الإنسان إلى نوافذ، فهذا هو بيته الحقيقي وقد انهارت جميع جدرانه. لدى غالبية البشر حتى الآن وعي ضئيل جدًا في مثل هذا الارتفاع؛ فهم ينامون في حالة من الحلم غافلين ونادرًا ما يستيقظون، لكن هذه الرؤية التي لديهم صحيحة، مهما كانت محدودة بسبب نقص نموهم.

ومع ذلك، في كل مرة يعودون فيها، ستتضاءل هذه القيود، وستزداد هي نفسها؛ بحيث تكون هذه الحياة الحقيقية أوسع وأكمل بالنسبة لهم.

مع استمرار هذا التحسن، تنمو هذه الحياة السببية، أطول فأطول، متخذة نسبة أكبر باستمرار مقارنة بالوجود في المستويات الأدنى. ومع نموه، يصبح الإنسان قادرًا ليس فقط على الأخذ بل على العطاء أيضًا. حينها يقترب انتصاره، لأنه يتعلم درس المسيح، ويتعلم مجد التضحية الأسمى، والبهجة العظمى في بذل حياته كلها لمساعدة إخوانه البشر، وتفاني الذات للجميع، والقوة السماوية لخدمة البشر، وكل تلك القوى السماوية الرائعة لمساعدة أبناء الأرض المكافحين. هذا جزء من الحياة التي تنتظرنا؛ هذه بعض الدرجات التي قد نراها نحن، الذين ما زلنا على أعتاب قاع السلم الذهبي، ترتفع فوقنا، لنخبر بها من لم يروا بعد، ليفتحوا هم أيضًا أعينهم على الروعة التي لا تُتصور والتي تحيط بهم هنا والآن في هذه الحياة اليومية المملة. هذا جزء من إنجيل الثيوصوفية - يقين هذا المستقبل السامي للجميع. إنه أمر مؤكد لأنه موجود بالفعل، ولأنه لكي نرثه، علينا فقط أن نُهيئ أنفسنا له.

63

الفصل 7. التناسخ

هذه الحياة التي يعيشها الأنا في عالمه الخاص، والتي هي حياة مجيدة ومرضية تمامًا للإنسان المتطور، لا تلعب إلا دورًا ضئيلًا جدًا في حياة الشخص العادي، لأنه في حالته لم يصل الأنا بعد إلى مرحلة كافية من التطور ليكون واعيًا في جسده السببي. طاعةً لقانون الطبيعة، انسحب إليها، لكنه بذلك فقد الإحساس بالحياة الحية، ورغبته المضطربة في الشعور بها مرة أخرى تدفعه نحو نزول آخر إلى المادة.

هذا هو مخطط التطور المُقرر للإنسان في المرحلة الحالية - أنه سيتطور بالنزول إلى مادة أكثر خشونة، ثم يصعد ليحمل إلى ذاته نتيجة التجارب التي اكتسبها بهذه الطريقة. لذا، تمتد حياته الحقيقية لملايين السنين، وما اعتدنا تسميته حياةً ما هو إلا يوم واحد من هذا الوجود الأعظم. بل هو في الواقع جزء صغير من يوم واحد؛ فحياة سبعين عامًا في العالم المادي غالبًا ما تعقبها فترة عشرين ضعفًا من هذه المدة تُقضى في عوالم أعلى.

لكلٍّ منا سلسلة طويلة من هذه الحيوات المادية خلفه، وللإنسان العادي سلسلة طويلة نسبيًا لا تزال أمامه. كل حياة من هذه الحيوات هي يوم في المدرسة. يرتدي الأنا ثوبه الجسدي وينطلق إلى مدرسة العالم المادي ليتعلم دروسًا معينة.

يتعلمها، أو لا يتعلمها، أو يتعلمها جزئيًا، حسب الحالة، خلال يومه الدراسي في الحياة الأرضية؛ ثم يخلع ثوب الجسد ويعود إلى منزله إلى مستواه الخاص للراحة والانتعاش. في صباح كل حياة جديدة، يستأنف درسه من حيث تركه في الليلة السابقة. قد يتمكن من تعلم بعض الدروس في يوم واحد، بينما قد يستغرق البعض الآخر أيامًا عديدة. إذا كان تلميذًا مجتهدًا ويتعلم بسرعة ما هو مطلوب، وإذا اكتسب فهمًا ذكيًا لقواعد المدرسة، وبذل عناء تكييف سلوكه معها، فإن حياته المدرسية تكون قصيرة نسبيًا، وعندما تنتهي، يخرج مجهزًا تجهيزًا كاملاً إلى الحياة الحقيقية في العوالم العليا، والتي كل هذا ليس سوى تحضير لها. أما الأنا الأخرى فهي صبية أكثر كسلًا لا يتعلمون بهذه السرعة؛ بعضهم لا يفهم قواعد المدرسة، وبسبب هذا الجهل يخرقونها باستمرار؛ والبعض الآخر

64

متمردون، وحتى عندما يرون القواعد لا يستطيعون على الفور الالتزام بها. كل هؤلاء لديهم حياة مدرسية أطول، وبتصرفاتهم الخاصة يؤخرون دخولهم إلى الحياة الحقيقية في العوالم العليا.

لأن هذه مدرسة لا يفشل فيها أي تلميذ أبدًا؛ يجب على الجميع أن يواصلوا حتى النهاية. ليس لديه خيار في ذلك؛ لكن المدة التي سيستغرقها في تأهيل نفسه للامتحانات العليا متروكة

بالكامل لتقديره الخاص. فالتلميذ الحكيم، إذ يرى أن الحياة المدرسية ليست شيئًا بحد ذاته، بل هي مجرد إعداد لحياة أسمى وأوسع نطاقًا، يسعى جاهدًا لفهم قواعد مدرسته على أكمل وجه ممكن، ويشكل حياته وفقًا لها كلما أمكن.

يبذل قصارى جهده، حتى لا يضيع وقته في تعلم أي دروس ضرورية. يتعاون بذكاء مع المعلمين، ويكرس نفسه لبذل أقصى ما في وسعه من عمل، حتى يبلغ سن الرشد ويدخل ملكوته في أقرب وقت ممكن كأنا ممجدة. تشرح لنا الثيوصوفية القوانين التي يجب أن تُعاش بموجبها هذه الحياة المدرسية، وبهذه الطريقة تمنح طلابها ميزة كبيرة. أول قانون عظيم هو قانون التطور. على كل إنسان أن يصبح إنسانًا كاملاً، ليكشف إلى أقصى درجة الإمكانيات الإلهية الكامنة فيه، لأن هذا الكشف هو هدف المخطط بأكمله بقدر ما يتعلق به. يدفعه قانون التطور هذا بثبات إلى الأمام نحو إنجازات أعلى فأعلى. يحاول الرجل الحكيم استباق متطلباته - أن يسبق المنهج الضروري، لأنه بهذه الطريقة لا يتجنب كل اصطدام به فحسب، بل يحصل على أقصى مساعدة من فعله. أما من يتخلف في سباق الحياة، فيجد ضغطه المستمر يقيده باستمرار - ضغطًا، إذا قاومه، سرعان ما يصبح مؤلمًا. وهكذا، يشعر المتخلف في طريق التطور دائمًا بأنه مطارد ومُقاد من قِبَل قدره، بينما يُترك الرجل الذي يتعاون بذكاء حرًا تمامًا في اختيار الاتجاه الذي سيتحرك فيه، طالما كان للأمام وللأعلى.

القانون العظيم الثاني الذي يجري بموجبه هذا التطور هو قانون السبب والنتيجة. لا يمكن أن تكون هناك نتيجة بدون سبب، وكل سبب يجب أن يُنتج نتيجته. إنهما في الواقع ليسا اثنين بل واحد، لأن النتيجة في الواقع جزء من السبب، ومن يُحرك أحدهما يُحرك الآخر أيضًا. لا وجود في الطبيعة لفكرة الثواب أو العقاب، بل للسبب والنتيجة فقط. يمكن لأي شخص أن يرى هذا فيما يتعلق بالميكانيكا أو الكيمياء؛ ويراه المستبصر بوضوح مماثل فيما يتعلق بمسائل التطور. وينطبق القانون نفسه في العوالم العليا كما في الدنيا؛ فهناك، كما هنا، تكون زاوية الانعكاس دائمًا مساوية لزاوية السقوط. ومن قوانين الميكانيكا أن الفعل ورد الفعل متساويان ومتعاكسان. أما في مادة العوالم العليا، وهي أدقّ بكثير من غيرها، فلا يكون رد الفعل لحظيًا دائمًا؛ فقد يمتد أحيانًا على فترات زمنية طويلة، لكنه يعود حتمًا وبشكل دقيق. كما أن القانون الأعلى، الذي يقضي بأن من يُرسل فكرةً طيبةً أو يقوم بعملٍ صالحٍ يُكافأ بالخير، ومن يُرسل فكرةً سيئةً أو يقوم بعملٍ شريرٍ يُكافأ بالشر بنفس القدر من الدقة - ليس مكافأةً أو عقابًا تُفرض عليه بإرادةٍ خارجية، بل ببساطةٍ كنتيجةٍ آليةٍ محددةٍ لنشاطه. لقد تعلم الإنسان تقدير النتيجة الآلية في العالم المادي، لأن رد الفعل يكون عادةً فوريًا تقريبًا ويمكنه رؤيته. لكنه لا يفهم دائمًا رد الفعل في العوالم العليا لأنه يأخذ نطاقًا أوسع، وغالبًا ما يعود ليس في هذه الحياة المادية، بل في حياةٍ مستقبلية.

يُفسر عمل هذا القانون عددًا من مشاكل الحياة العادية. فهو يُفسر اختلاف المصائر المفروضة على الناس، وكذلك الاختلافات بينهم. إذا كان رجلٌ ماهرًا في اتجاهٍ ما وآخر غبي، فذلك لأنه في حياةٍ سابقةٍ بذل الرجل الذكي جهدًا كبيرًا للممارسة في ذلك الاتجاه تحديدًا، بينما يُحاول الرجل الغبي ذلك لأول مرة.

العبقري والطفل المبكر ليسا مثالين على محاباة إلهٍ ما، بل على النتيجة التي أنتجتها حيواتٌ سابقةٌ من التطبيق.

جميع الظروف المتنوعة التي أحاطت بنا هي نتيجة أفعالنا في الماضي، تمامًا كما هي الصفات التي نجد أنفسنا نمتلكها. نحن ما صنعناه بأنفسنا، وظروفنا كما نستحق.

ومع ذلك، هناك تعديلٌ أو توزيعٌ مُعينٌ لهذه الآثار. فرغم أن القانون قانونٌ طبيعيٌّ وآليٌّ في عمله، إلا أن هناك ملائكةً عظماءً معنيين بتطبيقه. لا يمكنهم تغيير مقدار النتيجة التي تترتب على أي فكرة أو فعل، ولو بمقدار ريشة، ولكن يمكنهم، ضمن حدود معينة، تعجيل أو تأخير حدوثه، وتحديد شكله. ولو لم يحدث ذلك، لكان هناك على الأقل احتمال أن يرتكب الإنسان في مراحله الأولى خطأً جسيماً قد يفوق قدرته على التحمل. إن خطة الإله هي أن يمنح الإنسان قدراً محدوداً من الإرادة الحرة؛ فإن أحسن استخدامها، اكتسب الحق في المزيد منها في المرة القادمة؛ وإن أساء استخدامها، حلت عليه المعاناة نتيجة هذا الاستخدام السيئ، ووجد نفسه مقيداً بنتيجة أفعاله السابقة. وكلما تعلم الإنسان كيفية استخدام إرادته الحرة، ازدادت ثقته بها.

له، حتى يتمكن من اكتساب حرية غير محدودة عمليًا في اتجاه الخير، لكن قدرته على فعل الشر مقيدة بشدة. يمكنه التقدم بالسرعة التي يشاء، لكنه لا يستطيع تدمير حياته في جهله. في المراحل الأولى من الحياة الوحشية للإنسان البدائي، من الطبيعي أن يكون هناك شر أكثر من الخير، وإذا جاءت النتيجة الكاملة لأفعاله دفعة واحدة على إنسان لم يتطور بعد، فقد تسحق القوى المتطورة حديثًا والتي لا تزال ضعيفة جدًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن آثار أفعاله متنوعة في طبيعتها. فبينما ينتج بعضها نتائج فورية، يحتاج البعض الآخر إلى وقت أطول بكثير لعمله، وهكذا يحدث أنه مع نمو الإنسان، يكون لديه سحابة من النتائج غير المنجزة، بعضها جيد وبعضها سيء. من هذه الكتلة (التي قد نعتبرها لأغراض القياس دينًا على قوى الطبيعة) يستحق مقدار معين في كل من ولادته المتتالية؛ ويمكن اعتبار هذا المقدار، المُحدد على هذا النحو، مصير الإنسان في تلك الحياة تحديدًا.

كل ما يعنيه هذا هو أن قدرًا معينًا من الفرح وقدرًا معينًا من المعاناة مستحق له، وسيحدث له لا محالة؛ أما كيف سيُحقق هذا المصير وكيف سيستخدمه، فهذا متروك بالكامل لاختياره. إنه قدر معين من القوة التي يجب أن تُحدد نفسها بنفسها. لا شيء يمكن أن يمنع عمل تلك القوة، ولكن عملها يمكن تعديله دائمًا بتطبيق قوة جديدة في اتجاه آخر، تمامًا كما هو الحال في

الميكانيكا. إن نتيجة شر الماضي تشبه أي دين آخر؛ يمكن سدادها بشيك كبير واحد على بنك الحياة.

67

بكارثة عظمى واحدة؛ أو قد يُدفع في عدد من الأوراق النقدية الصغيرة، في مشاكل وهموم بسيطة؛ وفي بعض الحالات، قد يُدفع حتى في فكة صغيرة من عدد كبير من المضايقات التافهة. ولكن هناك أمر واحد مؤكد تمامًا - وهو أنه، بشكل أو بآخر، لا بد من دفعه.

فظروف حياتنا الحالية، إذًا، هي نتيجة حتمية لأفعالنا في الماضي؛ والجانب الآخر من هذه المقولة هو أن أفعالنا في هذه الحياة تُهيئ الظروف للحياة التالية. فالإنسان الذي يجد نفسه محدودًا إما في قدراته أو في ظروف خارجية قد لا يكون قادرًا دائمًا على تحقيق كل ما يتمناه في هذه الحياة؛ ولكنه بالتأكيد يستطيع أن يضمن للحياة التالية ما يختاره.

كل فعل للإنسان لا ينتهي به، بل يؤثر دائمًا على من حوله. في بعض الحالات، قد يكون هذا التأثير تافهًا نسبيًا، بينما في حالات أخرى قد يكون بالغ الخطورة. النتائج البسيطة، سواء أكانت جيدة أم سيئة، هي مجرد ديون أو أرصدة صغيرة في حسابنا مع الطبيعة؛ أما الآثار الأكبر، سواء أكانت جيدة أم سيئة، فتُشكل حسابًا شخصيًا يجب تسويته مع الفرد المعني.

من يُعطي وجبة طعام لمتسوّل جائع، أو يُسعده بكلمة طيبة، سيحصل على نتيجة عمله الصالح كجزء من نوع من الصندوق العام لخير الطبيعة؛ أما من يُغيّر مجرى حياة إنسان آخر بعمل صالح، فلا بد أن يلتقيه مرة أخرى في حياة مستقبلية، حتى تتاح لمن استفاد منه فرصة رد الجميل الذي أسداه إليه.

من يُسبب إزعاجًا لآخر سيعاني بنفس القدر من جراء ذلك في مكان ما، بطريقة ما، في المستقبل، مع أنه قد لا يلتقي مجددًا بالإنسان الذي أزعجه. لكن من يُلحق ضررًا جسيمًا بآخر، من يُدمر حياته أو يُعيق تطوره، لا بد أن يُلاقي ضحيته مجددًا في مرحلة لاحقة من حياته، حتى تُتاح له الفرصة، من خلال خدمة كريمة ومُضحية، لموازنة الخطأ الذي ارتكبه.
باختصار، يجب سداد الديون الكبيرة شخصيًا، أما الديون الصغيرة فتُضاف إلى الصندوق العام.

هذه إذن هي العوامل الرئيسية التي تُحدد الميلاد التالي للإنسان. أولًا، يُفعّل قانون التطور العظيم، ويميل هذا القانون إلى دفع الإنسان إلى ذلك الوضع الذي يُمكّنه من تطوير الصفات التي يحتاجها بأسهل طريقة. لأغراض المخطط العام،

68

تُقسّم البشرية إلى أعراق عظيمة، تُسمى الأعراق الجذرية، والتي تحكم العالم وتحتله على التوالي. العرق الآري أو العرق الهندي القوقازي العظيم، والذي يضم حاليًا أكثر سكان الأرض تقدمًا، هو أحد هذه الأعراق. كان العرق المنغولي، الذي يُطلق عليه عادةً في الكتب الثيوصوفية اسم الأطلنطي، لأن القارة التي حكم منها العالم كانت تقع حيث تتدفق مياه المحيط الأطلسي الآن. قبل ذلك، جاء العرق الزنجي، الذي لا يزال بعض أحفاده موجودين، وإن كانوا قد اختلطوا في ذلك الوقت بفروع من أعراق لاحقة. من كل من هذه الأعراق الجذرية العظيمة، هناك العديد من الفروع التي نسميها أعراقًا فرعية - مثل الأعراق الرومانية أو التوتونية؛ وينقسم كل عرق فرعي بدوره إلى أعراق فرعية، مثل الفرنسيين والإيطاليين.

الإنجليز والألمان.

وُضعت هذه الترتيبات بحيث يكون لكلّ نَفْسٍ خيارٌ واسعٌ من الظروف والبيئات المتباينة. فكلّ عرقٍ مُهيأٌ بشكلٍ خاصٍ لتنمية إحدى الصفات المطلوبة في سياق التطور لدى شعبه. ففي كلّ أمّةٍ عددٌ لا يُحصى تقريبًا من الظروف المتباينة، الغنى والفقر، ومجالٌ واسعٌ من الفرص أو انعدامٌ تامٌّ لها، وتسهيلاتٌ للتنمية أو ظروفٌ يكون فيها التنمية صعبةً أو شبه مستحيلة. ووسط كلّ هذه الاحتمالات اللانهائية، يميل ضغط قانون التطور إلى توجيه الإنسان تحديدًا إلى تلك التي تُناسب احتياجاته على أفضل وجهٍ في المرحلة التي يكون فيها.

لكنّ فعل هذا القانون مُقيّدٌ بذلك القانون الآخر الذي تحدّثنا عنه، قانون السبب والنتيجة. قد لا تكون أفعال الإنسان في الماضي من النوع الذي يستحقّ (إن جاز لنا التعبير) أفضل الفرص المُمكنة؛ ربما يكون قد حرك في ماضيه قوىً معينةً، نتيجتها الحتمية هي خلق قيود؛ وقد تعمل هذه القيود على منعه من الحصول على أفضل الفرص الممكنة، ونتيجةً لأفعاله في الماضي، قد يضطر إلى تحمّل ثاني أفضلها. لذا، يمكننا القول إن فعل قانون التطور، الذي لو تُرك لنفسه لكان يُحقق أفضل ما يمكن لكل إنسان، مُقيّدٌ بأفعال الإنسان السابقة. ومن السمات المهمة في هذا التقييد - والذي قد يكون له أثرٌ أقوى في الخير أو الشر - تأثير مجموعة الأنا التي أقام الإنسان معها روابطَ محددةً في الماضي - أولئك الذين كوّن معهم روابط قوية من الحب أو الكراهية، أو المساعدة أو الأذى - تلك النفوس التي يجب أن يلتقي بها مجددًا بسبب صلاتٍ كونت معهم في أيامٍ غابرة. علاقته بهم عاملٌ يجب أخذه في الاعتبار قبل تحديد أين وكيف سيولد من جديد. إرادة الإله هي تطور الإنسان. إن جهد تلك الطبيعة، التي تُعبّر عن الإله، هو أن تُعطي الإنسان ما هو أنسب لهذا التطور؛ لكن هذا مشروط بما استحقّه الإنسان في الماضي وبالروابط التي كوّنها بالفعل. يُمكن افتراض أن الإنسان الذي ينحدر إلى التجسد يمكنه أن يتعلم الدروس اللازمة لتلك الحياة في أيٍّ من مئة وضع. قد يُحرم من نصف هذه الأوضاع، أو أكثر من نصفها، بسبب عواقب بعض أفعاله العديدة والمتنوعة في الماضي. من بين الاحتمالات

القليلة التي لا تزال مفتوحة أمامه، قد يتحدد اختيار أحد الاحتمالات تحديدًا بوجود أنيات أخرى في تلك العائلة أو في ذلك الحيّ يستحقّها مقابل خدماته، أو يدين لها بدوره بدين من الحب.

الفصل الثامن: غاية الحياة

لكي نؤدي واجبنا في النظام الإلهي، علينا أن نحاول فهم هذا النظام ككل، ليس فقط الدور الخاص الذي يُفترض أن يلعبه الإنسان فيه. بلغ النفخ الإلهي أعمق انغماس له في المادة في مملكة المعادن، ولكنه يصل إلى أقصى درجات التمايز ليس عند أدنى مستوى من المادية، بل عند دخوله مملكة الإنسان على القوس الصاعد للتطور. لذا، علينا أن ندرك ثلاث مراحل في مسار هذا التطور.

(أ) القوس الهابط، حيث يكون الميل نحو التمايز، وكذلك نحو مادية أكبر. في هذه المرحلة، تنخرط الروح في المادة، لتتعلم تلقي الانطباعات من خلالها.

(ب) الجزء الأول من القوس الصاعد، حيث يكون الميل نحو تمايز أكبر، ولكن في الوقت نفسه نحو التحلي بالروحانية والهروب من المادية. في هذه المرحلة، تتعلم الروح السيطرة على المادة ورؤيتها تعبيرًا عن ذاتها.

(ج) الجزء الأخير من القوس الصاعد، عندما يُنجز التمايز نهائيًا، ويميل إلى الوحدة وكذلك إلى روحانية أعظم. في هذه المرحلة، بعد أن تعلمت الروح تمامًا كيفية تلقي الانطباع من خلال المادة وكيفية التعبير عن نفسها من خلالها، وأيقظت قواها الكامنة، تتعلم كيفية استخدام هذه القوى استخدامًا صحيحًا في خدمة الإله.

كان هدف التطور السابق بأكمله هو إنتاج الأنا كمظهر من مظاهر الموناد. ثم تتطور الأنا بدورها من خلال وضع نفسها في سلسلة من الشخصيات. ينظر الرجال الذين لا يفهمون هذا إلى الشخصية على أنها الذات، وبالتالي يعيشون لها وحدها، ويحاولون تنظيم حياتهم لما يبدو أنه منفعة مؤقتة. الإنسان العاقل يُدرك أن الشيء المهم الوحيد هو حياة الأنا، وأن تقدمها هو الهدف الذي يجب أن تُستغل من أجله الشخصية المؤقتة. لذلك، عندما يُضطر للاختيار بين مسارين مُحتملين، لا يُفكر، كما قد يفكر الإنسان العادي: "أيهما سيجلب لي متعةً وفائدةً أكبر كشخصية؟"، بل "أيهما سيجلب لي تقدمًا أكبر كشخصية؟". سرعان ما تُعلّمه التجربة أنه لا شيء يُمكن أن يكون جيدًا حقًا له، أو لأي شخص، ما لم يكن جيدًا للجميع، وهكذا يتعلم سريعًا أن ينسى نفسه تمامًا، وأن يسأل فقط عما هو الأفضل للبشرية جمعاء.

من الواضح إذًا أنه في هذه المرحلة من التطور، كل ما يتجه نحو الوحدة، كل ما يتجه نحو الروحانية، يتوافق مع خطة الله لنا، وبالتالي فهو صواب لنا، بينما كل ما يتجه نحو الانفصال أو المادية فهو خطأ لنا بالتأكيد. هناك أفكار ومشاعر تميل إلى الوحدة، كالحب والتعاطف والتبجيل والإحسان؛ وهناك أخرى تميل إلى التفرقة، كالكراهية والغيرة والحسد والكبرياء

والقسوة والخوف. من البديهي أن المجموعة الأولى هي الصحيحة بالنسبة لنا، بينما المجموعة الثانية هي الخاطئة بالنسبة لنا.

في كل هذه الأفكار والمشاعر الخاطئة بوضوح، ندرك نغمة واحدة سائدة، وهي فكرة الذات؛ بينما في كل تلك الصحيحة بوضوح، ندرك أن الفكر موجه نحو الآخرين، وأن الذات الشخصية قد نسيت. لذلك نرى أن الأنانية هي الخطأ الأعظم، وأن الإيثار التام هو تاج كل فضيلة. هذا يمنحنا قاعدة للحياة. على الإنسان الذي يرغب بذكاء في التعاون مع الإرادة الإلهية أن يتخلى عن كل تفكير في منفعة الذات الشخصية أو لذتها، وأن يكرس نفسه حصريًا لتنفيذ هذه الإرادة من خلال العمل من أجل رفاهية الآخرين وسعادتهم. هذا مثالٌ عالٍ، يصعب بلوغه، لأن وراءنا تاريخًا طويلًا من الأنانية. معظمنا لا يزال بعيدًا عن موقف الإيثار المحض؛ فكيف لنا أن نعمل لتحقيقه، ونحن نفتقر إلى القوة اللازمة في كثير من الصفات الحميدة، ونمتلك الكثير من الصفات غير المرغوبة؟ هنا يبدأ العمل بقانون السبب والنتيجة العظيم الذي أشرت إليه سابقًا. فكما يمكننا أن نلجأ بثقة إلى قوانين الطبيعة في العالم المادي، يمكننا أيضًا أن نلجأ إلى قوانين العالم الأعلى. إذا وجدنا صفات شريرة فينا، فقد نمت تدريجيًا من خلال الجهل والانغماس في الذات. والآن وقد تبدد الجهل بالمعرفة، والآن وقد أدركنا نتيجةً لذلك أن الصفة شر، فإن طريقة التخلص منها تكمن أمامنا بوضوح.

72

لكل من هذه الرذائل فضيلة مضادة؛ إذا وجدنا إحداها تطل برأسها فينا، فلنُقرر فورًا وبوعي أن نُنمّي في أنفسنا الفضيلة المعاكسة. إذا أدرك المرء أنه كان أنانيًا في الماضي، فهذا يعني أنه قد غرس في نفسه عادة التفكير في نفسه أولًا وإرضاء نفسه، والتطلع إلى راحته أو متعته دون التفكير في تأثير ذلك على الآخرين؛ فليبدأ العمل عمدًا على على المرء أن يتخذ من عادة عكسية تمامًا، وهي أن يفكر قبل القيام بأي شيء في كيفية تأثيره على من حوله؛ فليُعِد نفسه لإرضاء الآخرين، حتى لو كلفه ذلك المتاعب أو الحرمان.

وهذا أيضًا سيصبح مع الوقت عادة، وبتطويره يكون قد قضى على الآخر.

وإذا وجد المرء نفسه مليئًا بالشك، مستعدًا دائمًا لنسب دوافع شريرة لأفعال من حوله، فليُعِد نفسه بثبات لتنمية الثقة في رفاقه، ولمنحهم الفضل دائمًا على أعظم الدوافع الممكنة. يمكن القول إن من يفعل هذا سيُعرّض نفسه للخداع، وفي كثير من الأحيان ستكون ثقته في غير محلها. هذه مسألة بسيطة؛ فمن الأفضل له بكثير أن يُخدع أحيانًا نتيجة ثقته برفاقه من أن ينقذ نفسه من هذا الخداع بالحفاظ على موقف دائم من الشك. علاوة على ذلك، الثقة تُولّد الإخلاص. فالشخص المؤتمن يُثبت عادةً أنه جدير بالثقة، بينما الشخص المُشتبه به يُرجّح أن يُبرّر هذا الشك فورًا.

إذا وجد الإنسان في نفسه ميلًا إلى الجشع، فليُبذل قصارى جهده ليكون كريمًا للغاية؛ وإذا وجد نفسه سريع الانفعال، فليُدرّب نفسه على الهدوء؛ وإذا وجد نفسه مُستوليًا على الفضول، فليُكرّر رفضه مرارًا وتكرارًا لإشباعه؛ وإذا كان عُرضةً لنوبات اكتئاب، فليُكثّف من غرس البهجة، حتى في أشدّ الظروف سوءًا.

في جميع الأحوال، وجود صفة شريرة في الشخصية يعني غياب الصفة الجيدة المُقابلة لها في الأنا. أقصر طريق للتخلص من هذا الشر ومنع ظهوره مُجدّدًا هو سدّ الفجوة في الأنا، وستظهر الصفة الجيدة التي تُنمّيها هذه الصفة كجزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان طوال حياته القادمة. لا يمكن للأنا أن تكون شريرة، لكنها قد تكون ناقصة. الصفات التي تُنمّيها لا يمكن أن تكون إلا صفات جيدة، وعندما تُحدّد جيدًا، فإنها تظهر في كل شخصية من شخصياته العديدة، وبالتالي لا يمكن لتلك الشخصيات أبدًا أن تكون مذنبة بالرذائل المُعاكسة لهذه الصفات؛ ولكن حيث توجد فجوة في الأنا، حيث توجد صفة غير مُطوّرة، لا يوجد شيء متأصل في الشخصية يُعيق نمو الرذيلة المُعاكسة؛ وبما أن الآخرين في العالم من حوله يمتلكون هذه الرذيلة بالفعل، والإنسان حيوان مُقلّد، فمن المُرجّح جدًا أن تتجلى فيه بسرعة. ومع ذلك، فإن هذه الرذيلة تنتمي إلى المركبات فقط وليس إلى الإنسان في داخله. في هذه المركبات، قد يُنشئ تكرارها زخمًا يصعب التغلب عليه؛ ولكن إذا حثّت الأنا نفسها على خلق الفضيلة المعاكسة في ذاتها، فإن الرذيلة تُقطع من جذورها، ولا يمكن أن توجد بعد الآن - لا في هذه الحياة ولا في كل الحيوات القادمة.

الإنسان الذي يحاول تنمية هذه الصفات في نفسه سيجد بعض العقبات في طريقه - عقبات يجب أن يتعلم التغلب عليها. إحدى هذه العقبات هي الروح النقدية للعصر - الميل إلى إيجاد خطأ في الشيء، والتقليل من شأن كل شيء، والبحث عن عيوب في كل شيء وكل شخص.

إن عكس هذا تمامًا هو ما نحتاجه للتقدم. من يرغب في التحرك بسرعة على طريق التطور يجب أن يتعلم أن يرى الخير في كل شيء - أن يرى الإله الكامن في كل شيء وفي كل شخص. بهذه الطريقة فقط يمكنه مساعدة الآخرين - بهذه الطريقة فقط يمكنه الحصول على أفضل ما في تلك الأشياء الأخرى.

عقبة أخرى هي نقص المثابرة. نميل في هذه الأيام إلى أن نكون غير صبورين؛ إذا جربنا أي خطة، نتوقع نتائج فورية منها، وإذا لم نحصل عليها، نتخلى عنها ونجرب شيئًا آخر. هذه ليست الطريقة الصحيحة للتقدم في علوم الباطن. إن الجهد الذي نبذله هو أن نضغط في حياة أو اثنتين التطور الذي من شأنه أن يودي بحياة ربما مئة شخص. هذا ليس نوع المشروع الذي يُتوقع فيه نتائج فورية. نحاول اقتلاع عادة سيئة، ونجد ذلك عملاً شاقًا؛ لماذا؟ لأننا انغمسنا في هذه الممارسة ربما لعشرين ألف عام؛ لا يمكن للمرء التخلص من عادة عشرين ألف عام في

يوم أو يومين. لقد سمحنا لهذه العادة باكتساب زخم هائل، وقبل أن نتمكن من تشكيل قوة في الاتجاه المعاكس، علينا التغلب على هذا الزخم. لا يمكن تحقيق ذلك في لحظة، ولكن من المؤكد تمامًا أنه سيتحقق في النهاية، إذا ثابرنا، لأن الزخم، مهما كان قويًا، محدود الكمية، بينما القوة التي يمكننا استخدامها لمواجهته هي القوة اللانهائية للإرادة البشرية، القادرة على بذل جهود متجددة يومًا بعد يوم، عامًا بعد عام، بل وحتى حياة بعد حياة إذا لزم الأمر.

ومن الصعوبات الكبرى الأخرى التي تعترض طريقنا عدم وضوح أفكارنا.

ففي الغرب، نادرًا ما يعتاد الناس على وضوح الفكر فيما يتعلق بالأمور الدينية. كل شيء غامض وضبابي. أما بالنسبة للتطور الخفي، فإن الغموض والضبابية لن يجديا نفعًا.

يجب أن تكون تصوراتنا واضحة، وصور أفكارنا محددة. ومن السمات الضرورية الأخرى الهدوء والبهجة؛ وهما نادران في الحياة العصرية، لكنهما ضروريان للغاية للعمل الذي نقوم به هنا.

عملية بناء الشخصية عملية علمية، تمامًا مثل عملية تنمية العضلات. كثير من الناس، الذين يجدون أنفسهم ذوي عضلات مترهلة وضعيفة، يعتبرون ذلك حالتهم الطبيعية، ويعتبرون ضعفها قدرًا مفروضًا عليهم؛ لكن كل من يفهم ولو قليلًا في جسم الإنسان يدرك أنه من خلال التمرين المستمر، يمكن استعادة صحة هذه العضلات، واستعادة الجسم كله في النهاية.
بالطريقة نفسها، يجد كثير من الناس أنفسهم مسكونين بسوء الطباع أو بميل إلى الجشع أو الشك أو الانغماس في الملذات، وعندما يرتكبون خطأً فادحًا أو يُلحقون ضررًا جسيمًا نتيجةً لأيٍّ من هذه الرذائل، يتذرعون بذلك بكونهم متسرعي المزاج، أو أنهم يمتلكون هذه الصفة أو تلك بطبيعتهم - مما يعني أنه لا يستطيع تغييرها.

في هذه الحالة، كما في الحالة الأخرى، يكمن العلاج في يديه. فالممارسة المنتظمة السليمة تُنمّي عضلةً ما، والتمرين العقلي المنتظم السليم يُنمّي صفةً مفقودةً في شخصية الإنسان. لا يُدرك الإنسان العادي أنه قادر على فعل ذلك، وحتى لو رأى أنه قادر على ذلك، فإنه لا يرى سببًا يدفعه إلى ذلك، لأنه يتطلب جهدًا كبيرًا وكبتًا كبيرًا للذات. إنه لا يعرف دافعًا كافيًا للقيام بمهمة شاقة ومؤلمة كهذه.

الدافع مُستمد من معرفة الحقيقة. من يكتسب فهمًا واعيًا لاتجاه التطور، لا يشعر بمصلحته فحسب، بل بامتيازه ومتعته في التعاون معه. من يريد الغاية يريد أيضًا الوسيلة؛ ولكي يكون قادرًا على القيام بعمل صالح من أجل العالم، يجب أن ينمي في نفسه القوة والصفات اللازمة. لذلك، من يرغب في إصلاح العالم، عليه أولاً وقبل كل شيء أن يُصلح نفسه. عليه أن يتعلم التخلي تمامًا عن موقف الإصرار على الحقوق، وأن يُكرّس نفسه تمامًا لأداء واجباته على

أكمل وجه. عليه أن يتعلم أن يعتبر كل صلة بزميله فرصة لمساعدة زميله، أو لخيره بطريقة ما.

من يدرس هذه المواضيع بذكاء لا يسعه إلا أن يُدرك القوة الهائلة للفكر، وضرورة التحكم فيه بكفاءة. كل فعل ينبع من الفكر، فحتى لو تم (كما نقول) بدون فكر، فإنه يكون تعبيرًا غريزيًا عن الأفكار والرغبات والمشاعر التي سمح الإنسان لها بالنمو بغزارة في داخله في الماضي.

لذلك، يُراقب الحكيم فكره بعناية فائقة، لأنه يمتلك فيه أداةً قوية، وهو مسؤول عن حسن استخدامها. من واجبه أن يُحكم فكره، لئلا يُسمَح له بالانفلات وإيذاء نفسه والآخرين؛ ومن واجبه أيضًا أن يُنمّي قدرته الفكرية، لأنه من خلالها يُمكن تحقيق قدر هائل من الخير الفعلي والفاعل. وهكذا، بتحكّمه في فكره وفعله، وبالتالي استبعاده كل شرّ وإظهاره كل الصفات الحميدة، يرتقي الإنسان بنفسه فوق مستوى أقرانه، ويبرز بينهم بوضوح كشخص يعمل في صف الخير ضد الشر، وفي صف التطور ضد الركود. إن أعضاء التسلسل الهرمي العظيم، الذين بيدهم تطور العالم، يترقبون دائمًا مثل هؤلاء الرجال لتدريبهم على المساعدة في العمل العظيم. يجذب هذا الرجل انتباههم حتمًا، ويبدأون في استخدامه كأداة في عملهم. إذا أثبت أنه أداة جيدة وفعالة، فسيقدمون له فورًا تدريبًا محددًا كمتدرب، حتى يتمكن من خلال مساعدتهم في العمل العالمي الذي يتعين عليهم القيام به من أن يصبح يومًا ما مثلهم، وينضم إلى جماعة الإخوان العظيمة التي ينتمون إليها.

ولكن لشرف عظيم كهذا، لن يكفي مجرد الصلاح العادي. صحيح أن الإنسان يجب أن يكون صالحًا أولاً وقبل كل شيء، وإلا فسيكون من المستحيل التفكير في استخدامه، ولكن بالإضافة إلى كونه صالحًا، يجب أن يكون حكيمًا وقويًا. ما نحتاجه ليس مجرد رجل صالح، بل قوة روحية عظيمة. لا يكفي أن يتخلى المرشح عن كل نقاط ضعفه العادية، بل يجب أن يكتسب صفات إيجابية قوية قبل أن يقدم نفسه لهم على أمل أن يُقبل. عليه ألا يعيش بعد الآن كشخصية متخبطة وأنانية، بل كأنا ذكية تُدرك دورها في الكون. عليه أن ينسى نفسه تمامًا؛ عليه أن يتخلى عن كل تفكير في الربح أو المتعة أو التقدم الدنيوي؛ عليه أن يكون مستعدًا للتضحية بكل شيء، وبنفسه أولًا، من أجل العمل المطلوب. قد يكون في العالم، لكنه ليس منه. عليه أن يكون غافلًا تمامًا عن رأيه.

لأجل مساعدة الإنسان، عليه أن يجعل نفسه أكثر من مجرد إنسان. مُشرقًا، مُبتهجًا، قويًا، عليه أن يعيش من أجل الآخرين، وليكون تعبيرًا عن محبة الله في العالم. مثالٌ عالٍ، ولكن ليس مُبالغًا فيه؛ مُمكن، لأن هناك رجالًا حققوه.

عندما ينجح الإنسان في كشف إمكانياته الكامنة لدرجة أنه يجذب انتباه أساتذة الحكمة، فمن المُحتمل أن يستقبله أحدهم كمتدرب في فترة اختبار. عادةً ما تكون فترة الاختبار سبع سنوات،

ولكن يُمكن تقصيرها أو إطالتها حسب تقدير الأستاذ. في نهاية تلك الفترة، إذا كان عمله مُرضيًا، يُصبح ما يُسمى عادةً بالتلميذ المُقبول. هذا يُقرّبه من أستاذه، بحيث تُؤثر فيه ذبذبات الأخير باستمرار، ويتعلم تدريجيًا أن ينظر إلى كل شيء كما ينظر إليه الأستاذ. بعد فترة أخرى، إذا أثبت جدارته تمامًا، فقد يُجذب إلى علاقة أوثق، حين يُدعى ابن المعلم.

تمثل هذه المراحل الثلاث علاقته بمعلمه فقط، لا بالأخوية ككل. لا تقبل الأخوية أي شخص في صفوفها إلا عندما يُهيئ نفسه لاجتياز أولى مراحل التنشئة الكبرى.

يمكن اعتبار هذا الدخول في أخوية من يحكمون العالم ثالث أهم النقاط الحاسمة في تطور الإنسان.

أولها هو عندما يصبح إنسانًا - عندما يتفرد خارج عالم الحيوان ويحصل على جسد سببي.

ثانيها هو ما يُطلق عليه المسيحيون "التوبة"، والهندوس "اكتساب التمييز"، والبوذيون "فتح أبواب العقل". هذه هي النقطة التي يُدرك فيها الإنسان حقائق الحياة العظيمة، ويتخلى عن السعي وراء الغايات الأنانية ليُسارع عمدًا مع تيار التطور العظيم طاعةً للإرادة الإلهية. أما النقطة الثالثة فهي الأهم على الإطلاق، لأن التنشئة التي تُدخله في صفوف الإخوانية تُؤمّنه أيضًا من احتمالية عدم تحقيق الهدف الإلهي في الوقت المُحدد له. ولذلك يُطلق على من وصلوا إلى هذه النقطة في النظام المسيحي اسم "المختارين" أو "المُخلّصين" أو "الآمنين"، وفي النظام البوذي اسم "من دخلوا التيار". فمن وصلوا إلى هذه النقطة قد تأكدوا تمامًا من بلوغ نقطة أخرى أيضًا - وهي مرحلة الاستبصار، حيث ينتقلون إلى نوع من التطور يفوق طاقة البشر بالتأكيد.

الإنسان الذي أصبح استبصارًا قد حقق الإرادة الإلهية فيما يتعلق بهذه السلسلة من العوالم. لقد بلغ، حتى في منتصف عصر التطور، المرحلة المحددة لبلوغ الإنسان في نهايته. لذا، فهو حر في قضاء ما تبقى من ذلك الوقت إما في مساعدة إخوانه البشر أو في عملٍ أروع مرتبطٍ بتطوراتٍ أخرى أعلى. من لم يُرسَم بعدُ لا يزال في خطر التخلف عن موجة التطور الحالية، والسقوط في الموجة التالية - "الدينونة الأيونية" التي تحدث عنها المسيح، والتي تُرجمت خطأً إلى "الهلاك الأبدي". ومن هذا المصير، أي الفشل الأيونية المحتملة - أي الفشل في هذا العصر، أو التدبير الإلهي، أو موجة الحياة - يكون الإنسان الذي يُرسَم "في مأمن". لقد "دخل التيار" الذي يجب أن يحمله الآن إلى مرتبة الأستاذية في هذا العصر الحالي، مع أنه لا يزال بإمكانه بأفعاله أن يُعجّل أو يُؤخر تقدمه على طول الطريق الذي يسلكه.

يُقابل هذا التنشئة الأولى الالتحاق بالجامعة، ويُقابل بلوغ مرتبة الأستاذية الحصول على شهادة في نهاية الدورة. واستمرارًا للتشبيه، هناك ثلاثة امتحانات متوسطة، يُشار إليها عادةً باسم التنشئات الثانية والثالثة والرابعة، حيث تُعتبر مرتبة الأستاذية الخامسة.

يمكن الحصول على فكرة عامة عن مسار هذا التطور الأعلى من خلال دراسة قائمة ما يُسمى في الكتب البوذية "بالقيود" التي يجب التخلص منها - الصفات التي يجب على الإنسان التخلص منها وهو يسلك هذا الطريق.

وهي: وهم الانفصال؛ الشك أو عدم اليقين؛ الخرافة؛ التعلق بالمتعة؛ إمكانية الكراهية؛ الرغبة في الحياة، سواءً في هذا العالم أو في العوالم العليا؛ الكبرياء؛ الانفعال أو سرعة الغضب؛ والجهل. الإنسان الذي يصل إلى مستوى الماهر يكون قد استنفد كل إمكانيات التطور الأخلاقي، وبالتالي فإن التطور المستقبلي الذي لا يزال أمامه

78

لا يعني إلا معرفةً أوسع وقوىً روحيةً أكثر روعة.

79

الفصل 9. السلاسل الكوكبية

إن مخطط التطور الذي تُشكل أرضنا جزءًا منه ليس الوحيد في نظامنا الشمسي، إذ توجد عشر سلاسل منفصلة من الكرات في ذلك النظام، وكلها مسارح لتقدم متشابه إلى حد ما.

يجري كل مخطط من مخططات التطور هذه على سلسلة من الكرات،

وفي سياق كل مخطط، تسير سلسلة كواكبه من خلال سبعة تجسيدات. الخطة، كما هو الحال في كل مخطط ككل وفي التجسيدات المتتالية لسلسلة كُراته، هي الغوص تدريجيًا في المادة، ثم الصعود تدريجيًا منها.

تتكون كل سلسلة من سبعة كُرات، وتلتزم كلٌّ من الكرات والسلاسل بقاعدة النزول إلى المادة ثم الصعود منها. ولتوضيح ذلك، لنأخذ السلسلة التي تنتمي إليها أرضنا مثالًا. هي حاليًا في تجسيدها الرابع أو الأكثر مادية، وبالتالي تنتمي ثلاثة من كُراته إلى العالم المادي، واثنان إلى العالم النجمي، واثنان إلى الجزء السفلي من العالم العقلي. تنتقل موجة الحياة الإلهية بالتتابع من كُرة إلى أخرى في هذه السلسلة، بدءًا من أحد أعلى الكرات، ثم تنزل تدريجيًا إلى أدنىها، ثم تصعد مرة أخرى إلى نفس المستوى الذي بدأت منه. لنُسمِّ الكرات السبع، لتسهيل الرجوع إليها، بالأحرف الأولى من الأبجدية، ونُرقِّم التجسيدات بالترتيب. وبما أن هذا هو التجسيد الرابع لسلسلتنا، فإن الكرة الأولى في هذا التجسيد ستكون A4، والثانية B4، والثالثة C4، والرابعة (وهي أرضنا) D4، وهكذا.

لا تتكون جميع هذه الكرات من مادة مادية. لا يحتوي A 4 على مادة أدنى من مادة العالم العقلي؛ وله نظير في جميع العوالم الأعلى منه، ولكن لا شيء أدنى منه. يوجد B 4 في العالم النجمي؛ أما C 4 فهو كرة مادية، مرئية بتلسكوباتنا، وهو في الواقع الكوكب الذي نعرفه باسم المريخ. الكرة D 4 هي أرضنا، التي تعمل عليها حاليًا موجة الحياة في السلسلة. الكرة E 4 هي الكوكب الذي نسميه عطارد - وهو أيضًا في العالم المادي. الكرة الأرضية F 4 تقع في العالم النجمي، وتتوافق في القوس الصاعد مع الكرة الأرضية B 4 في الهبوط؛ بينما تتوافق الكرة الأرضية G 4 مع الكرة الأرضية A 4 في أدنى تجلياتها في الجزء السفلي من العالم العقلي. وهكذا، سيتضح أن لدينا مخططًا للكرات الأرضية يبدأ من العالم العقلي السفلي، وينحدر عبر النجمي إلى المادي، ثم يرتفع إلى العالم العقلي السفلي عبر النجمي مرة أخرى. وكما أن تعاقب الكرات الأرضية في سلسلة يُشكل هبوطًا في المادة وصعودًا منها مرة أخرى، كذلك تُشكل التجسيدات المتتالية للسلسلة. لقد وصفنا حالة الأمور في التجسد الرابع؛ وبالنظر إلى التجسد الثالث، نجد أنه لا يبدأ في المستوى السفلي من العالم العقلي، بل في المستوى الأعلى. إذن، الكرتان A 3 وG 3 كلاهما من مادة عقلية عليا، بينما الكرتان B 3 وF 3 في المستوى العقلي

السفلي. الكرتان C 3وE 3تنتميان إلى العالم النجمي، ولا يُرى في العالم المادي إلا الكرة ثلاثية الأبعاد. ورغم أن هذا التجسد الثالث لسلسلتنا قد مضى عليه زمن طويل، إلا أن بقايا هذه الكرة ثلاثية الأبعاد المادية لا تزال مرئية لنا على شكل ذلك الكوكب الميت، القمر، ومن هنا يُطلق على هذا التجسد الثالث عادةً اسم السلسلة القمرية.

سيتوافق التجسد الخامس لسلسلتنا، والذي لا يزال بعيدًا جدًا في المستقبل، مع التجسد الثالث. وفي ذلك، ستُبنى الكرتان A 5وG 5من مادة عقلية عليا، والكراتان B 5وF 5من مادة عقلية دنيا، والكراتان C 5وE 5من مادة نجمية، ولن يكون سوى الكرة D 5في العالم المادي. هذا الكوكب D 5ليس موجودًا بعد بالطبع.

تتبع التجسيدات الأخرى للسلسلة نفس القاعدة العامة المتمثلة في تناقص المادة تدريجيًا؛ A 2 وG 2وA 6وG 6جميعها في العالم الحدسي. ٢ب، ٢ف، ٦ب، و٦ف جميعها في الجزء الأعلى من العالم العقلي؛ ٢ج، ٢هـ، ٦ج، و٦هـ في الجزء الأسفل من العالم العقلي؛ ٢د و٦د في العالم النجمي. وبالمثل، تنتمي ١أ، ١ج، ٧أ، و٧ج إلى العالم الروحي؛ ١ب، IF، ٧ب، و٧ف في العالم الحدسي؛ ١ج، ١هـ، ٧ج، و٧هـ في الجزء الأعلى من العالم العقلي؛ ١د و٧د في الجزء الأسفل من العالم العقلي.

وهكذا، سيتضح أن موجة الحياة لا تغوص في المادة فحسب عند مرورها عبر سلسلة من العوالم ثم ترتفع منها مرة أخرى، بل إن السلسلة نفسها في تجسيداتها المتتالية تفعل الشيء نفسه تمامًا. هناك عشرة مخططات تطورية موجودة حاليًا في نظامنا الشمسي، لكن سبعة منها فقط وصلت إلى مرحلة وجود كواكب في العالم المادي. وهي: (1) مخطط كوكب فولكان غير المعروف، وهو قريب جدًا من الشمس، ولا تتوفر لدينا عنه سوى معلومات محدودة جدًا. رآه عالم الفلك هيرشل، لكن يُقال الآن إنه اختفى. في البداية، فهمنا أنه كان في تجسده الثالث؛ لكن يُعتقد الآن أنه انتقل مؤخرًا من سلسلته الخامسة إلى سلسلته السادسة، مما يُفسر اختفائه المزعوم؛ (2) مخطط كوكب الزهرة، الذي هو في تجسده الخامس، وبالتالي، له كرة مرئية واحدة فقط؛ (3) مخطط الأرض والمريخ وعطارد، الذي يحتوي على ثلاثة كواكب مرئية لأنه في تجسده الرابع؛ (4) مخطط كوكب المشتري، (5) مخطط زحل، (6) مخطط أورانوس، وجميعها في تجسيداتها الثالثة؛ و(7) كوكب نبتون والكوكبين المجهولين اللذين يقعان خارج مداره، والذي هو في تجسده الرابع، وبالتالي يحتوي الكوكب على ثلاثة كواكب مادية كما لدينا. في كل تجسيد لسلسلة (تُسمى عادةً فترة السلسلة)، تدور موجة الحياة الإلهية سبع مرات حول سلسلة الكواكب السبعة، وتُسمى كل حركة من هذه الحركات دورة. تُعرف الفترة التي تبقى فيها موجة الحياة على كل كوكب بفترة عالمية، وخلال كل فترة عالمية، توجد سبع

أعراق جذرية عظيمة. وكما سبق شرحه، تنقسم هذه الأعراق إلى أعراق فرعية، وتلك إلى أعراق فرعية. لتسهيل الرجوع، يُمكننا ذكر ذلك في شكل جدول:

٧ أعراق فرعية تُشكّل عرقًا فرعيًا واحدًا، ٧ أعراق فرعية تُشكّل عرقًا أصليًا واحدًا، ٧ أعراق جذرية تُشكّل فترة عالمية واحدة، ٧ فترات عالمية تُشكّل دورة واحدة، ٧ دورات تُشكّل فترة سلسلة واحدة، ٧ فترات سلسلة تُشكّل مخططًا للتطور ١٠

مخططات التطور تُشكّل نظامنا الشمسي واحدًا

من الواضح أن العرق الجذري الرابع للكرة الأرضية الرابعة من الدورة الرابعة لفترة السلسلة الرابعة سيكون النقطة المركزية لمخطط تطور كامل، ونحن في الوقت الحاضر لم نتجاوز هذه النقطة إلا بقليل. العرق الآري، الذي ننتمي إليه، هو العرق الجذري الخامس للكرة الأرضية الرابعة، لذا فإن نقطة المنتصف الفعلية وقعت في زمن آخر عرق جذري عظيم، الأطلنطي. وبالتالي، فإن الجنس البشري ككل قد قطع أكثر بقليل من نصف طريق تطوره، وتلك الأرواح القليلة التي تقترب بالفعل من مرتبة الأديب، وهي نهاية هذا التطور وتاجه، متقدمة جدًا عن أقرانها.

كيف وصلوا إلى هذا التقدم؟ جزئيًا، وفي بعض الحالات، لأنهم عملوا بجد أكبر، ولكن عادةً لأنهم ذوات أكبر سنًا - لأنهم انفصلوا عن عالم الحيوان في تاريخ سابق، وبالتالي كان لديهم وقت أطول للجزء البشري من تطورهم.

أي موجة حياة معينة تُرسل من الإله عادةً ما تقضي فترة سلسلة في كل مملكة من ممالك الطبيعة العظيمة. ما كان في سلسلتنا الأولى يُنْشِئ مملكة العناصر الأولى لا بد أنه قد أنْشَأَ مملكة العناصر الثانية في السلسلة الثانية، وفي الثالثة منها في سلسلة القمر، وهو الآن في مملكة المعادن في السلسلة الرابعة. في السلسلة الخامسة المستقبلية، ستُنْشِئُ مملكةَ النبات، وفي السادسة مملكةَ الحيوان، وفي السابعة ستبلغ الإنسانية.

ويترتب على ذلك أننا كنا نُمَثِّلُ مملكةَ المعدن في السلسلة الأولى، ومملكةَ النبات في الثانية، ومملكةَ الحيوان في السلسلة القمرية. هناك، بلغ بعضنا تفرده، وهكذا مُكِّننا من دخول سلسلة الأرض هذه كبشر. أما الآخرون الذين كانوا أكثر تخلفًا، فلم ينجحوا في بلوغها، فاضطروا إلى الولادة في هذه السلسلة كحيوانات لفترة قبل أن يصلوا إلى الإنسانية.

ومع ذلك، لم يدخل جميع البشر هذه السلسلة معًا. فعندما انتهت السلسلة القمرية، وقفت الإنسانية فيها على مستويات مختلفة.

لم تكن السيادة، بل ما يُمثل لنا الآن الخطوة الرابعة على الطريق، هي الهدف المُحدَّد لتلك السلسلة. أما أولئك الذين بلغوها (الذين يُطلق عليهم في الأدب الثيوصوفي عادةً "سادة القمر")،

فكان أمامهم، كما هو معتاد، سبعة خيارات بشأن طريقة خدمتهم. خيار واحد فقط من تلك الخيارات هو ما قادهم، أو بالأحرى قلة منهم، إلى سلسلة الأرض هذه ليكونوا مرشدين ومعلمين للأجناس السابقة. لم تبلغ نسبة كبيرة - بل نسبة هائلة - من رجال القمر هذا المستوى، وبالتالي اضطروا إلى الظهور في سلسلة الأرض هذه كبشر. إضافةً إلى ذلك، كانت كتلة كبيرة من مملكة الحيوانات في سلسلة القمر تتصاعد إلى مستوى التفرد، وقد وصل بعض أعضائها إليه بالفعل، بينما لم يصل إليه كثيرون غيرهم. احتاجت هذه الأخيرة إلى المزيد من التجسيدات الحيوانية على سلسلة الأرض، ويمكن استبعادها في الوقت الحالي. كانت هناك طبقات عديدة حتى بين البشر، والطريقة التي توزعت بها هذه الطبقات على سلسلة الأرض تحتاج إلى بعض التوضيح. القاعدة العامة هي أن من بلغوا أعلى مستوى ممكن في أي سلسلة على أي كوكب، في أي عرق جذري، لا يُولدون في بداية السلسلة التالية، أو الكوكب أو العرق، على التوالي. المراحل المبكرة دائمًا ما تكون للكيانات المتأخرة، وفقط عندما يكونون قد مروا بمرحلة تطورية كبيرة وبدأوا يقتربون من مستوى الآخرين الذين كانوا أفضل حالًا، ينزل هؤلاء إلى التجسد وينضمون إليهم مرة أخرى. أي أن النصف الأول تقريبًا من أي فترة تطور، سواء أكانت عرقًا أم كوكبًا أم سلسلة، يبدو أنه مُكرس لرفع الأشخاص المتأخرين إلى مستوى قريب من مستوى أولئك الذين تحسنوا؛ ثم ينزل هؤلاء أيضًا (الذين كانوا في هذه الأثناء ينعمون بمتعة كبيرة في العالم العقلي) إلى التجسد مع الآخرين، ويواصلون مسيرتهم معًا حتى نهاية الفترة. وهكذا، فإن أوائل الأنا من القمر الذين دخلوا سلسلة الأرض لم يكونوا الأكثر تقدمًا بأي حال من الأحوال. في الواقع، يمكن وصفهم بأنهم الأقل تقدمًا بين من نجحوا في بلوغ الإنسانية - البشر الحيوانيون. إذ دخلوا سلسلة من العوالم الجديدة، التي تجمعت حديثًا بعد ذلك، كان عليهم تحديد الأشكال في جميع ممالك الطبيعة المختلفة. يجب القيام بذلك في بداية الدورة الأولى في سلسلة جديدة، ولكن ليس بعد ذلك أبدًا؛ فمع أن موجة الحياة تتركز فقط على أحد كواكب السلسلة السبع في أي وقت، إلا أن الحياة لم تنفصل تمامًا عن الكواكب الأخرى. في الوقت الحاضر، على سبيل المثال، تتركز موجة الحياة في سلسلتنا على هذه الأرض، ولكن على الكوكبين الآخرين، المريخ وعطارد، لا تزال الحياة موجودة.

لا يزال هناك سكان، بشر وحيوان ونبات، وبالتالي عندما تعود موجة الحياة إلى أي من هذين الكوكبين، لن تكون هناك حاجة لخلق أشكال جديدة. فالأنواع القديمة موجودة بالفعل، وكل ما سيحدث سيكون خصوبة مفاجئة مذهلة، بحيث تتزايد الممالك المختلفة وتتكاثر بسرعة، وتشكل سكانًا متزايدين بسرعة بدلاً من سكان ثابتين. إذن، كان البشر الحيوانيون، أدنى طبقة بشرية في سلسلة القمر، هم من أسسوا الأشكال في الدورة الأولى من سلسلة الأرض. وتبعهم عن كثب أعلى طبقة في مملكة الحيوانات القمرية، الذين سرعان ما كانوا مستعدين لاحتلال الأشكال التي خُلقت للتو. في الرحلة الثانية حول كواكب سلسلة الأرض السبعة، كان البشر الحيوانيون، الذين كانوا الأكثر تخلفًا بين البشر القمريين، قادة هذه البشرية الأرضية، أعلى

طبقة من حيوانات القمر، في مراحلها الأقل تطورًا. واستمر الأمر نفسه في الدورة الثالثة من سلسلة الأرض، حيث اكتسب المزيد والمزيد من الحيوانات القمرية التفرد وانضموا إلى رتبة البشر، حتى في منتصف تلك الدورة على هذا الكوكب د الذي نسميه الأرض، هبطت طبقة أعلى من البشر - الطبقة الثانية من البشر القمريين - إلى التجسد، وقادت على الفور. عندما نصل إلى جولتنا الرابعة، جولتنا الحالية، نجد النظام الأول من رجال القمر يتدفقون علينا - كل أسمى وأفضل البشر القمريين الذين لم يحالفهم الحظ إلا مؤخرًا. بعض مَن سلكوا الطريق، حتى على القمر، سرعان ما بلغوا نهايته، وأصبحوا أتباعًا ثم رحلوا عن الأرض. أما القلة القليلة الأخرى التي لم تصل إلى هذا المستوى المتقدم، فقد بلغت مرتبة الأتباع مؤخرًا نسبيًا - أي خلال آلاف السنين القليلة الماضية، وهؤلاء هم أتباع اليوم. نحن، الذين نجد أنفسنا الآن في أعراق بشرية عليا، كنا متأخرين عنهم بمراحل، لكن الفرصة سانحة أمامنا للسير على خطاهم إن شئنا.

التطور الذي تحدثنا عنه هو تطور الأنا نفسها، ما يمكن تسميته روح الإنسان؛ ولكن في الوقت نفسه، كان هناك أيضًا تطور للجسد. كانت الأشكال التي بُنيت في الجولة الأولى مختلفة تمامًا عن أي شكل نعرفه الآن. بالمعنى الدقيق للكلمة، لا يُمكن وصف تلك التي خُلقت على أرضنا المادية بأنها أشكال على الإطلاق، لأنها كانت مصنوعة من مادة أثيرية فقط، وكانت تُشبه غيومًا غامضة، عائمة، تكاد تكون بلا شكل. في الدورة الثانية، كانت مادية بالتأكيد، لكنها ظلت بلا شكل وخفيفة بما يكفي لتطفو في تيارات الرياح.

فقط في الدورة الثالثة، بدأت تحمل أي نوع من التشابه مع الإنسان كما نعرفه اليوم. اختلفت أساليب تكاثر تلك الأشكال البدائية عن أساليب البشرية اليوم، وكانت أكثر تشابهًا مع تلك التي نجدها الآن فقط في أنواع أدنى بكثير من الحياة.

كان الإنسان في تلك الأيام الأولى خنثى، ولم يحدث فصل واضح بين الجنسين إلا في منتصف الدورة الثالثة تقريبًا. منذ ذلك الحين وحتى الآن، تطور شكل الإنسان بثبات وفق خطوط بشرية واضحة، فأصبح أصغر حجمًا وأكثر تماسكًا مما كان عليه، وتعلم الوقوف منتصبًا بدلًا من الانحناء والزحف، وتميز بشكل عام عن الأشكال الحيوانية التي تطور منها.

وهناك خلل غريب في انتظام هذا التطور يستحق الذكر.

على هذه الكرة، في هذه الدورة الرابعة، حدث انحراف عن مخطط التطور المباشر. ولأن هذه هي الكرة الوسطى لدورة متوسطة، فإن نقطة منتصف التطور عليها مثّلت اللحظة الأخيرة التي أمكن فيها لأعضاء ما كان يُعرف سابقًا بمملكة الحيوانات القمرية تحقيق التفرد. ونتيجة لذلك، بُذل جهد كبير - وُضع مخطط خاص لإعطاء فرصة أخيرة لأكبر عدد ممكن. أُعيد إنتاج ظروف الجولتين الأولى والثانية خصيصًا بدلًا من السباقين الأول والثاني - ظروف لم تتمكن

هذه الأنا المتخلفة من استغلالها بالكامل في الجولات السابقة. الآن، مع التطور الإضافي الذي مروا به خلال الجولة الثالثة، تمكن بعضهم من استغلال هذه الميزة، فاندفعوا في اللحظة الأخيرة قبل إغلاق الباب، وأصبحوا بشرًا فحسب. بطبيعة الحال، لن يصلوا إلى أي مستوى عالٍ من التطور البشري، ولكن على الأقل عندما يحاولون مرة أخرى في سلسلة مستقبلية، سيكون من المفيد لهم أن يخوضوا هذه التجربة البسيطة.

تطور الحياة البشرية. لقد تلقى تطورنا الأرضي حافزًا بالغ الأهمية من المساعدة التي قدمتها لنا أختنا كوكب الزهرة. الزهرة حاليًا في التجسد الخامس من سلسلتها، وفي الدورة السابعة من ذلك التجسد، لذا فإن سكانها يتقدمون علينا في التطور بفترة ونصف من السلسلة. ولأن سكانها أكثر تطورًا بكثير من سكاننا، فقد رُئي أنه من المستحسن نقل بعض أتباع تطور الزهرة إلى أرضنا للمساعدة في الوقت المزدحم قبل إغلاق الباب مباشرةً، في منتصف السلالة الجذرية الرابعة.

أُطلق على هؤلاء الكائنات الجليلة لقب "سادة اللهب" و"أبناء ضباب النار"، وقد أحدثوا تأثيرًا رائعًا على تطورنا. إن العقل الذي نفخر به كثيرًا يعود الفضل فيه تقريبًا كليًا إلى وجودهم، لأنه في مجرى الأحداث الطبيعي، ستكون الجولة التالية، الخامسة، جولة التقدم الفكري، وفي جولتنا الرابعة الحالية سنكرس أنفسنا بشكل رئيسي لتنمية العواطف. لذلك، نحن في الواقع متقدمون كثيرًا عن البرنامج المحدد لنا؛ وهذا التقدم يعود كليًا إلى المساعدة التي قدمها هؤلاء السادة العظماء من اللهب.

بقي معظمهم معنا فقط خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخنا؛ ولا يزال عدد قليل منهم يشغلون أعلى المناصب في جماعة الإخوان البيضاء العظيمة حتى الوقت الذي يرتقي فيه رجال تطورنا إلى مستوى عالٍ يكونون قادرين على إغاثة زوارهم الموقرين.

86

إن التطور الذي ينتظرنا هو تطور الحياة والشكل معًا؛ ففي الجولات القادمة، بينما ستنمو الأنا باطراد في القوة والحكمة والحب، ستكون الأشكال الجسدية أيضًا أجمل وأكثر كمالاً مما كانت عليه في أي وقت مضى. لدينا في هذا العالم في الوقت الحاضر بشر في مراحل تطور متباينة للغاية، ومن الواضح أن هناك حشودًا هائلة من المتوحشين الذين يتخلفون كثيرًا عن الأجناس المتحضرة العظيمة في العالم - متخلفون لدرجة أنه من المستحيل تمامًا أن يتمكنوا من تجاوزهم. لاحقًا في مسار تطورنا، سنصل إلى نقطة لم يعد من الممكن فيها لتلك النفوس غير المتطورة أن تتقدم جنبًا إلى جنب مع الآخرين، مما يستلزم إجراء تقسيم.

هذا الإجراء مشابه تمامًا لفرز مدرس للأولاد في فصله. خلال العام الدراسي، عليه أن يُعِدّ أولاده لامتحان معين، وربما بحلول منتصف ذلك العام الدراسي، يعرف جيدًا أيهم سينجح. إذا كان في صفه من يتخلفون عن البقية تأخرًا ميؤوسًا منه، فقد يقول لهم عند بلوغ منتصف الفصل: "لا جدوى من استمراركم مع زملائكم، لأن الدروس الأصعب التي سأقدمها لكم الآن ستكون غامضة عليكم تمامًا. من المستحيل أن تتعلموا ما يكفي في الوقت المناسب لاجتياز الامتحان، بحيث يصبح الجهد المبذول عليكم عبئًا لا طائل منه، وفي الوقت نفسه ستكونون عائقًا أمام بقية الصف. لذلك، من الأفضل لكم أن تتوقفوا عن السعي وراء المستحيل، وأن تستأنفوا عمل الطبقة الدنيا الذي لم تتقنوه، ثم تقدموا أنفسكم لهذا الامتحان مع دفعة العام المقبل، لأن ما هو مستحيل عليكم الآن سيكون سهلًا عليكم".

هذا بالضبط ما يُقال في مرحلة معينة من تطورنا المستقبلي، لأكثر الأنا تخلفًا. ينسحبون من دفعة هذا العام، وينضمون إلى الدفعة التالية. هذا هو "الحكم الإيوني" الذي أُشير إليه قبل قليل. يُقدّر أن حوالي خُمسي البشرية سينسحبون من الدفعة بهذه الطريقة، تاركين الثلاثة أخماس الباقية ليواصلوا مسيرتهم بسرعة أكبر نحو المصائر المجيدة التي تنتظرهم.

87

الفصل العاشر: نتيجة الدراسة الثيوصوفية

"يدرس أعضاء الجمعية الثيوصوفية هذه الحقائق، ويسعى الثيوصوفيون إلى عيشها." فأي نوع من البشر هو الثيوصوفي الحقيقي إذن نتيجة معرفته؟ وما هي نتيجة كل هذه الدراسة في حياته اليومية؟

إذ يكتشف الثيوصوفي وجود قوة عليا تُوجّه مسار التطور، وأنه كلي الحكمة والمحبة، يرى أن كل ما يوجد ضمن هذا النظام يجب أن يُقصد به تعزيز تقدمه. ويُدرك أن الكتاب المقدس الذي يُخبرنا بأن كل الأشياء تعمل معًا من أجل الخير، ليس انغماسًا في خيال شعري أو تعبيرًا عن أملٍ تقوي، بل يُقرّ بحقيقة علمية. إن بلوغ المجد الذي لا يُوصف في النهاية أمرٌ مؤكد لكل إنسان، مهما كانت حالته الراهنة؛ ولكن هذا ليس كل شيء.

هنا وفي هذه اللحظة الراهنة، هو في طريقه نحو المجد؛ وجميع الظروف المحيطة به مُصممة لمساعدته لا لعرقلته، إذا فُهمت فهمًا صحيحًا. من المؤسف حقًا أن في العالم الكثير من الشر والحزن والمعاناة؛ ومع ذلك، من من وجهة نظرها، ترى الثيوصوفية أن هذا، على الرغم من بشاعة الأمر، إلا أنه مؤقت وسطحيّ، ويُستغلّ كعامل في التقدم. عندما كان ينظر إليه في أيام جهله من مستواه الخاص، كان من المستحيل تقريبًا أن يرى ذلك؛ بينما كان ينظر من أسفل إلى الجانب السفلي من الحياة، وعيناه مثبتتان دائمًا على شرٍّ ظاهر، لم يستطع أبدًا أن يفهم معناه الحقيقي. الآن، يرتقي بنفسه فوقه إلى مستويات أعلى من الفكر والوعي، وينظر إليه بعين الروح ويفهمه في مجمله، فيرى أن كل شيء على ما يرام في الحقيقة - ليس أن كل شيء سيكون على ما يرام في وقت ما بعيد، ولكن حتى الآن في هذه اللحظة، في خضم الكفاح المتواصل والشر الظاهر، لا يزال تيار التطور الجبار يتدفق، وهكذا كل شيء على ما يرام لأن كل شيء يتحرك بنظام مثالي نحو الهدف النهائي. ٨٨

بهذا الارتفاع في وعيه فوق عواصف الحياة الدنيوية وضغوطها، يُدرك ما كان يبدو شرًا، ويلاحظ كيف أنه يضغط ظاهريًا على تيار التقدم العظيم؛ لكنه يرى أيضًا أن الاندفاع المُستمر لقانون التطور الإلهي له نفس العلاقة بهذا الشر السطحي كما أن سيل نياجرا الهائل له نفس العلاقة ببقع الزبد على سطحه. لذا، بينما يُتعاطف بعمق مع كل من يُعاني، فإنه يُدرك مع ذلك نهاية تلك المعاناة، ولذلك فإن اليأس أو فقدان الأمل أمرٌ مستحيل بالنسبة له. يُطبق هذا الاعتبار على أحزانه ومتاعبه، وكذلك على متاعب العالم، ولذلك فإن إحدى النتائج العظيمة لثيوصوفيته هي صفاء تام - بل وأكثر من ذلك، بهجة وفرح دائمان.

يشعر بانعدام تام للقلق، لأنه في الحقيقة لا يوجد ما يدعو للقلق، لأنه يعلم أن كل شيء يجب أن يكون على ما يُرام. علمه العالي يجعله متفائلاً راسخًا، إذ يُظهر له أن كل شر قد يكون في أي شخص أو في أي حركة، فهو بالضرورة مؤقت، لأنه يعارض تيار التطور الذي لا يقاوم؛

بينما كل ما هو خير في أي شخص أو في أي حركة لا بد أن يكون دائمًا ونافعًا، لأنه يحمل وراءه قوة ذلك التيار المطلقة، ولذلك يجب أن يستمر ويسود.

ومع ذلك، لا ينبغي أن يُفترض للحظة أنه لمجرد تأكده التام من انتصار الخير النهائي، فإنه يظل غير مبالٍ أو غير مبالٍ بالشرور الموجودة في العالم من حوله. إنه يعلم أن من واجبه مكافحة هذه الشرور بكل ما أوتي من قوة، لأنه بذلك يعمل في صف القوة التطورية العظيمة، ويقرب وقت انتصارها النهائي. لن يكون أحدٌ أنشط منه في العمل من أجل الخير، حتى وإن كان متحررًا تمامًا من الشعور بالعجز واليأس الذي غالبًا ما يُثقل كاهل من يسعون جاهدين لمساعدة إخوانهم.

ومن أهم نتائج دراسته الثيوصوفية غياب الخوف. فكثيرٌ من الناس يشعرون بالقلق والتوتر باستمرار حيال أمرٍ ما؛ يخشون أن يحدث لهم هذا أو ذاك، أو أن يفشل هذا المزيج أو ذاك، وهكذا طوال الوقت في حالة من القلق؛ والأخطر على الإطلاق بالنسبة للكثيرين هو الخوف من الموت. أما الثيوصوفي، فيتخلص من هذا الشعور تمامًا. إنه يُدرك

89

حقيقة التناسخ العظيمة. يعلم أنه سبق له أن تخلى عن أجساده، ولذلك يرى أن الموت ليس إلا نومًا - فكما يحل النوم بين أيام عملنا ويمنحنا الراحة والانتعاش، كذلك بين أيام العمل هذه على الأرض، التي نسميها حياة، يأتي ليل طويل من الحياة النجمية والسماوية ليمنحنا الراحة والانتعاش ويساعدنا في طريقنا.

بالنسبة للثيوصوفي، الموت هو ببساطة خلع هذا الرداء الجسدي لفترة من الوقت. إنه يعلم أن من واجبه الحفاظ على الرداء الجسدي لأطول فترة ممكنة، واكتساب كل ما يستطيع من خلاله من خبرة؛ ولكن عندما يحين وقت التخلي عنه، سيفعل ذلك شاكرًا، لأنه يعلم أن المرحلة التالية ستكون أمتع بكثير من هذه. وهكذا لن يخاف الموت، مع أنه يدرك أنه يجب أن يعيش حياته حتى النهاية المحددة، لأنه هنا لغرض التقدم، وأن التقدم هو الأمر الأهم حقًا. مفهومه للحياة مختلف تمامًا؛ ليس الهدف كسب هذا القدر من المال، ولا الحصول على هذا المنصب أو ذاك؛ المهم هو تنفيذ الخطة الإلهية. إنه يعلم أنه موجود من أجل هذا، وأن كل شيء آخر يجب أن يستسلم لها. كما أنه متحرر تمامًا من أي مخاوف أو هموم أو متاعب دينية. كل هذه الأمور تُزاح عنه، لأنه يرى بوضوح أن التقدم نحو الأسمى هو الإرادة الإلهية لنا، وأننا لا نستطيع الفرار من هذا التقدم، وأن كل ما يعترض طريقنا وكل ما يحدث لنا يهدف إلى مساعدتنا على ذلك؛ وأننا أنفسنا الوحيدون القادرون على ذلك.

يتقدم بنا. لم يعد يقلق ولا يخشى على نفسه. إنه ببساطة يواصل القيام بالواجب الأقرب إليه بأفضل طريقة ممكنة، واثقًا بأنه إذا فعل ذلك فسيكون كل شيء على ما يرام بالنسبة له دون

قلق دائم. إنه راضٍ عن أداء عمله بهدوء ومحاولة مساعدة رفاقه في السباق، عالمًا أن القوة الإلهية العظيمة التي تقف وراءه ستدفعه إلى الأمام ببطء وثبات، وستفعل له كل ما في وسعه، طالما أن وجهه ثابت في الاتجاه الصحيح، طالما أنه يفعل كل ما في وسعه بشكل معقول.

ولأنه يعلم أننا جميعًا جزء من تطور عظيم واحد، وأننا جميعًا أبناء أب واحد، فإنه يرى أن الأخوة العالمية للبشرية ليست مجرد تصور شعري، بل حقيقة مؤكدة؛ ليست حلمًا بشيء سيكون على مسافة بعيدة من اليوتوبيا، بل هي حالة موجودة هنا والآن. إن يقين هذه الأخوة الشاملة يمنحه نظرة أوسع للحياة ووجهة نظر موضوعية واسعة ينظر من خلالها إلى كل شيء. يُدرك أن المصالح الحقيقية للجميع متطابقة في الواقع، وأنه لا يمكن لأحد أن يحقق مكاسب حقيقية لنفسه على حساب خسارة أو معاناة شخص آخر. هذا ليس بالنسبة له مجرد اعتقاد ديني، بل حقيقة علمية أثبتتها دراسته. يرى أنه بما أن البشرية كلٌّ واحد، فلا شيء يضرّ أحدًا يمكن أن يكون في الحقيقة لخير آخر، لأن الضرر الواقع لا يؤثر على الفاعل فحسب، بل يؤثر أيضًا على من حوله. يعلم أن الفائدة الحقيقية الوحيدة له هي تلك المنفعة التي يتقاسمها مع الجميع. يرى أن أي تقدم يستطيع إحرازه في طريق التقدم أو التطور الروحي هو أمر مضمون ليس لنفسه وحده، بل للآخرين أيضًا. إذا اكتسب المعرفة أو ضبط النفس، فإنه بالتأكيد يكتسب الكثير لنفسه، ومع ذلك لا يأخذ شيئًا من أي شخص آخر، بل على العكس من ذلك، فهو يساعد ويقوي الآخرين.

وإدراكه للوحدة الروحية المطلقة للبشرية، فهو يعلم أنه، حتى في هذا العالم السفلي، لا يمكن تحقيق ربح حقيقي من قبل رجل واحد إلا باسم البشرية ومن أجلها؛ وأن تقدم رجل واحد يجب أن يكون تخفيفًا عن جميع الآخرين؛ وأن تقدم رجل واحد في الأمور الروحية يعني تقدمًا طفيفًا للغاية ولكنه ليس غير محسوس للبشرية ككل؛ وأن كل من يتحمل المعاناة والحزن بنبل في نضاله نحو النور يرفع شيئًا من العبء الثقيل المتمثل في حزن ومعاناة إخوته أيضًا.

لأنه يدرك هذه الأخوة ليس مجرد أمل يعتز به اليائسون، بل كحقيقة مؤكدة تتبع في سلسلة علمية جميع الحقائق الأخرى؛ لأنه يرى هذا يقينًا مطلقًا، يتغير موقفه تجاه كل من حوله تغيرًا جذريًا. يصبح موقفًا دائمًا من المساعدة، ودائمًا من أعمق التعاطف، لأنه يرى أنه لا شيء يتعارض مع مصالحهم العليا يمكن أن يكون الصواب، أو يمكن أن يكون مفيدًا له بأي شكل من الأشكال. ويترتب على ذلك بطبيعة الحال أن يمتلئ بأقصى قدر ممكن من التسامح والمحبة. لا يسعه إلا أن يكون دائمًا متسامحًا، لأن فلسفته تُظهر له أن معتقدات الإنسان لا تهم كثيرًا، طالما أنه رجل صالح وصادق. يجب أن يكون أيضًا محبًا، لأن معرفته الأوسع تُمكّنه من مراعاة أشياء كثيرة لا يفهمها الإنسان العادي. إن معيار الثيوصوفي في الصواب والخطأ دائمًا أعلى من معيار الرجل الأقل تعليمًا، ومع ذلك فهو ألطف بكثير من الأخير في مشاعره

تجاه الخاطئ، لأنه يفهم أكثر من الطبيعة البشرية. يُدرك كيف بدت الخطيئة للمذنب لحظة ارتكابها، ولذلك يُقدم تنازلات أكثر مما يُقدمه الجاهل بكل هذا.

إنه يتجاوز التسامح والإحسان والتعاطف؛ إنه يشعر بحب إيجابي تجاه البشر، وهذا يدفعه إلى اتخاذ موقف المساعدة اليقظ. يشعر أن كل تواصل مع الآخرين هو فرصة له، وأن المعرفة الإضافية التي أكسبته إياها دراسته تُمكّنه من تقديم النصيحة أو المساعدة في أي قضية تُعرض عليه تقريبًا. ليس أنه يُفرض آراءه على الآخرين باستمرار. بل على العكس، يُلاحظ أن القيام بذلك من أكثر الأخطاء شيوعًا التي يرتكبها غير المُتعلمين. إنه يعلم أن الجدال إهدار أحمق للطاقة، ولذلك يرفض الجدال.

إذا طلب منه أي شخص شرحًا أو نصيحة، فهو على أتم الاستعداد لتقديمها، ومع ذلك فهو لا يرغب في إقناع أي شخص آخر برأيه. في كل علاقة من علاقات الحياة، تبرز فكرة المساعدة هذه، ليس فقط فيما يتعلق بإخوانه البشر، بل أيضًا فيما يتعلق بمملكة الحيوان الشاسعة التي تحيط به. غالبًا ما تُقرّب وحدات هذه المملكة من الإنسان، وهذه فرصة له ليفعل شيئًا من أجلهم. يُدرك الثيوصوفي أن هؤلاء إخوته أيضًا، حتى وإن كانوا أصغر منه سنًا، وأنه مدين له بـ واجب أخوي تجاههم أيضًا - أن يتصرف ويُفكر بحيث تكون علاقته بهم دائمًا لخيرهم لا لضررهم أبدًا.

وفوق كل شيء، تُعتبر هذه الثيوصوفية بالنسبة له عقيدةً من عقيدة الحس السليم. فهي تضع أمامه، بقدر ما يستطيع معرفته حاليًا، الحقائق المتعلقة بالله والإنسان والعلاقات بينهما؛ ثم يأخذها في الاعتبار ويتصرف بناءً عليها بالعقل والمنطق السليم. إنه يُنظم حياته وفقًا لقوانين التطور التي علمته إياها، وهذا يمنحه وجهة نظر مختلفة تمامًا، ومقياسًا يُجرّب به كل شيء - أفكاره ومشاعره، وأفعاله أولًا وقبل كل شيء، ثم تلك الأشياء التي تُواجهه في العالم الخارجي.

يُطبّق دائمًا هذا المعيار: هل الشيء صحيح أم خاطئ، هل يُساعد التطور أم يُعيقه؟ إذا طرأت على باله فكرة أو شعور، فإنه يدرك فورًا من خلال هذا الاختبار ما إذا كان ينبغي عليه تشجيعه. إذا كان ذلك من أجل أعظم خير لأكبر عدد، فكل شيء على ما يرام؛ إذا كان من شأنه أن يعيق أو يسبب ضررًا لأي كائن في تقدمه، فهو شر ويجب تجنبه. وينطبق نفس السبب تمامًا إذا طُلب منه اتخاذ قرار بشأن أي شيء خارج نفسه. إذا كان الشيء من هذا المنظور جيدًا، فيمكنه أن يدعمه بضمير حي؛ وإلا، فهو ليس من شأنه.

بالنسبة له، لا تدخل مسألة المصلحة الشخصية في الاعتبار على الإطلاق. إنه يفكر ببساطة في خير التطور ككل. وهذا يمنحه موطئ قدم محددًا ومعيارًا واضحًا، ويزيل عنه تمامًا ألم التردد والتردد. إن إرادة الإله هي تطور الإنسان؛ لذلك، فإن كل ما يساعد على هذا التطور يجب أن

يكون جيدًا. أيًا كان ما يعترض طريقه ويؤخره، فلا بد أن يكون خاطئًا، حتى وإن كان في صفه كل ثقل الرأي العام والتقاليد العريقة.

ومعرفةً منه أن الإنسان الحقيقي هو الأنا لا الجسد، يرى أن حياة الأنا وحدها هي المهمة حقًا، وأن كل ما يتعلق بالجسد يجب أن يخضع بلا تردد لتلك المصالح العليا. يُدرك أن هذه الحياة الأرضية مُنحت له لغرض التقدم، وأن هذا التقدم هو الشيء الوحيد المهم.

الغرض الحقيقي من حياته هو كشف قواه كأنا، وتنمية شخصيته. إنه يعلم أنه لا بد من تطور ليس فقط الجسد المادي، بل أيضًا الطبيعة العقلية، والعقل، والإدراكات الروحية. يرى أنه لا يُتوقع منه سوى الكمال المطلق فيما يتعلق بهذا التطور؛ وأن كل القوة المتعلقة به بين يديه؛ أنه أمامه زمنٌ أبديٌّ لبلوغ هذا الكمال، وكلما أسرع في نيله، كان أسعد وأكثر نفعًا. إنه يدرك أن حياته ليست سوى يومٍ دراسي، وأن جسده المادي ثوبٌ مؤقتٌ مُتَّخَذٌ لغرض التعلم من خلاله. يدرك فورًا أن غايةَ تلقّي الدروس هي الغايةُ الوحيدةُ ذاتُ الأهميةِ الحقيقية، وأن من يسمحُ لنفسهِ بأن يُحوَّلَ عنه لأيِّ اعتبارٍ كان يتصرفُ بغباءٍ لا يُصدَّق. تبدو له الحياةُ المُكرَّسةُ للأشياءِ الماديةِ فقط، لاكتسابِ الثروةِ أو الشهرة، مجردَ لعبةِ أطفالٍ - تضحيةٌ لا معنى لها بكلِّ ما يستحقُّ امتلاكَه حقًا من أجلِ لحظاتٍ قليلةٍ من إرضاءِ الجزءِ الأدنى من طبيعته. إنه "يُوَجِّهُ حُبَّه إلى الأشياءِ السماويةِ لا إلى الأشياءِ الأرضية"، ليس فقط لأنه يرى أن هذا هو المسارُ الصحيحُ للفعل، ولكن لأنه يُدركُ بوضوحٍ عدمَ قيمةِ هذه الأشياءِ الأرضية. يسعى دائمًا إلى تبني وجهة النظر العليا، لأنه يعلم أن الدنيا لا يُعتمد عليها إطلاقًا - وأن الرغبات والمشاعر الدنيا تتجمع حوله كضباب كثيف، وتجعل من المستحيل عليه رؤية أي شيء بوضوح من ذلك المستوى. كلما وجد صراعًا يدور في داخله، يتذكر أنه هو نفسه الأعلى، وأن الدنيا ليست هي ذاته الحقيقية، بل هي مجرد جزء لا يمكن السيطرة عليه من إحدى مركباتها. يعلم أنه حتى لو سقط ألف مرة في طريقه نحو هدفه، فإن دافعه لمحاولة الوصول إليه يبقى قويًا بعد السقطة الألف كما كان في البداية، بحيث لا يكون من المجدي فحسب، بل من غير الحكمة والخطأ أيضًا، أن يستسلم لليأس والقنوط. يبدأ رحلته على طريق التقدم فورًا - ليس فقط لأنه يعلم أن الأمر أسهل عليه الآن مما سيكون عليه لو أرجأ الجهد إلى وقت لاحق، ولكن بالأساس لأنه إذا بذل الجهد الآن ونجح في تحقيق بعض التقدم، وإذا ارتقى بذلك إلى مستوى أعلى، فسيكون في وضع يسمح له بمد يد العون لمن لم يصلوا بعد حتى إلى تلك الدرجة على السلم التي وصل إليها. وبهذه الطريقة، يشارك، مهما كان متواضعًا، في العمل الإلهي العظيم للتطور. إنه يعلم أنه لم يصل إلى وضعه الحالي إلا من خلال عملية نمو بطيئة، ولذلك فهو لا يتوقع بلوغ الكمال فورًا. إنه يرى مدى حتمية قانون السبب والنتيجة العظيم، وأنه بمجرد أن يدرك آلية عمل هذا القانون، يمكنه استخدامه بذكاء فيما يتعلق بالتطور العقلي والأخلاقي، تمامًا كما يمكننا في العالم المادي أن نستخدم لمساعدتنا تلك القوانين الطبيعية التي تعلمنا فهم أفعالها.

بفهمه للموت، يعلم أنه لا داعي للخوف منه أو الحزن عليه، سواء جاء إليه أو إلى من يحبهم. لقد جاء إليهم جميعًا مرارًا وتكرارًا من قبل، لذلك ليس هناك ما هو مألوف فيه. إنه يرى الموت ببساطة كرتقاء من حياة أكثر من نصف جسدية إلى حياة أسمى تمامًا، لذا فهو يرحب به لنفسه دون تظاهر؛ وحتى عندما يتعلق الأمر بمن يحبهم، فإنه يدرك فورًا ما فيه من فائدة لهم، مع أنه لا يسعه إلا أن يشعر بوخزة ندم على انفصاله المؤقت عنهم فيما يتعلق بالعالم المادي. لكنه يعلم أن من يسمونهم أمواتًا ما زالوا قريبين منه، وأن عليه فقط أن يتخلص من جسده المادي النائمة مؤقتًا ليقف إلى جانبهم كما كان من قبل.

يرى بوضوح أن العالم واحد، وأن القوانين الإلهية نفسها تحكمه كله، سواء كان مرئيًا أو غير مرئي للعين المجردة. لذلك لا يشعر بالتوتر أو الغرابة عند الانتقال من جزء منه إلى آخر، ولا يشعر بالشك بشأن ما سيجده على الجانب الآخر من الحجاب. إنه يعلم أن في تلك الحياة العليا تنفتح أمامه آفاق رائعة من الفرص لاكتساب معرفة جديدة والقيام بعمل مفيد؛ وأن الحياة بعيدًا عن هذا الجسد الكثيف تتمتع بحيوية وتألق لا تضاهيهما أي متعة أرضية.

وهكذا، من خلال معرفته الواضحة وثقته الهادئة، تشرق قوة الحياة الأبدية على كل من حوله.

الشك في مستقبله أمرٌ مستحيل بالنسبة له، فكما أنه بالنظر إلى الماضي، يدرك ما كان عليه في الماضي، فكذلك بالنظر إلى أعظم وأحكم البشر، يعرف ما سيكون عليه في المستقبل. يرى سلسلة متصلة من التطور، سلمًا من الكمال يرتفع بثبات أمامه، ومع ذلك، والبشر على كل درجة منه، فيعلم أن هذه الدرجات في متناوله. فبسبب ثبات قانون السبب والنتيجة العظيم، يجد نفسه قادرًا على تسلق ذلك السلم، لأنه بما أن القانون يعمل دائمًا بنفس الطريقة، فيمكنه الاعتماد عليه واستخدامه، تمامًا كما يستخدم قوانين الطبيعة في العوالم المادية. معرفته بهذا القانون تُعطيه منظورًا واضحًا، وتُظهر له أنه إذا أصابه شيء، فإنه يأتي لأنه استحقه نتيجة أفعال قام بها، وأقوال نطق بها، وأفكار راودته في أيامه السابقة أو في حياته السابقة. إنه يُدرك أن كل بلاء هو من طبيعة سداد دين، ولذلك عندما يواجه مصاعب الحياة، فإنه يأخذها ويتخذها درسًا، لأنه يفهم سبب مجيئها، ويسعد بالفرصة التي تُتيحها له لسداد شيء من التزامه. مرة أخرى، وبطريقة أخرى، يعتبرها فرصة، لأنه يرى أن لها جانبًا آخر إذا واجهها بالطريقة الصحيحة. لا يُضيع وقتًا في تحمل الأعباء المُحتملة. عندما تُصيبه المتاعب، لا يُفاقمها بالتذمر الأحمق، بل يُجهّز نفسه لتحمل ما لا مفر منه منها، بصبرٍ وثبات. ليس كأنه يُخضع نفسه لها كما يفعل المُؤمنون بالقدر، بل إنه يتخذ الظروف الصعبة حافزًا للتطور الذي قد يُمكّنه من تجاوزها، وهكذا يُنبت من شرور الماضي البعيد بذرة نموٍّ مُستقبلي. ففي سداد الدين المُستحق، يُنمّي صفات الشجاعة والعزيمة التي ستُعينه على الصمود في جميع العصور القادمة.

يتميز عن بقية العالم ببهجته الدائمة، وشجاعته التي لا تُلين في مواجهة الصعاب، وتعاطفه الدائم ومساعدته؛ ومع ذلك، فهو في الوقت نفسه، وبكل تأكيد، رجلٌ يأخذ الحياة على محمل الجد، ويُدرك أن هناك الكثير مما يُمكن لكل فرد فعله في العالم، وأنه لا يوجد وقتٌ لإضاعته. إنه يعلم يقينًا أنه لا يصنع مصيره فحسب، بل يؤثر أيضًا تأثيرًا بالغًا على مصير الآخرين من حوله، ولذلك يُدرك مدى جسامة المسؤولية المترتبة على استخدام سلطته. إنه يعلم أن الأفكار أشياء، وأنه من السهل إحداث ضرر كبير أو خير عظيم بوسائلها. إنه يعلم أنه لا يعيش الإنسان لنفسه، لأن كل فكرة لديه تؤثر في الآخرين أيضًا؛ وأن الاهتزازات التي يُرسلها من عقله ومن طبيعته العقلية تتكاثر في عقول الآخرين وطبائعهم العقلية، لذا فهو مصدرٌ للصحة النفسية أو للمرض النفسي لكل من يحتك به. وهذا يفرض عليه فورًا قواعد أخلاقية اجتماعية أسمى بكثير مما هو معروف للعالم الخارجي، لأنه يعلم أنه يجب عليه التحكم ليس فقط في أفعاله وأقواله، بل أيضًا في أفكاره، لأنها قد تُحدث آثارًا أخطر وأبعد مدى من تعبيرها الخارجي في العالم المادي. إنه يعلم أنه حتى عندما لا يفكر الإنسان في الآخرين إطلاقًا، فإنه يؤثر عليهم حتمًا بالخير أو بالشر. بالإضافة إلى هذا التأثير اللاواعي لفكره على الآخرين، فإنه يستخدمه أيضًا بوعي للخير. إنه يُحرك تياراتٍ لتقديم العون والراحة النفسية للعديد من الأصدقاء المتألمين، وبهذه الطريقة يجد عالمًا جديدًا كليًا من النفع ينفتح أمامه. إنه يضع نفسه دائمًا في صف الفكر الأعلى لا الأدنى، والأشرف لا الأدنى. إنه يتبنى عمدًا النظرة المتفائلة بدلًا من المتشائمة لكل شيء، والنظرة المُفيدة بدلًا من النظرة الساخرة، لأنه يعلم أن هذه هي النظرة الصحيحة أساسًا. ببحثه الدائم عن الخير في كل شيء، سعيًا منه لتعزيزه، وسعيه الدائم للمساعدة دون إعاقة، يصبح أكثر نفعًا لإخوانه البشر، وبالتالي، وبقدرته البسيطة، شريكًا في خطة التطور الرائعة. ينسى نفسه تمامًا، ولا يعيش إلا من أجل الآخرين، مُدركًا أنه جزء من هذه الخطة؛ كما يُدرك الله في داخله، ويتعلم أن يُصبح تعبيرًا أصدق عنه، وهكذا، بإتمامه مشيئة الله، لا يُبارك هو فحسب، بل يُصبح بركة للجميع.